بين الوَاحِديِّ والمَعَرِّي

محمد بن عبدالله العزَّام - الرياض

(١) قال الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي - رحمه الله - في خطبة شرحه النفيس على ديوان أبي الطيب المتنبي (ولهذا خفيت معانيه على أكثر من روى شعره من أكابر الفضلاء والأئمة العلماء، حتى الفحول منهم والنجباء، كالقاضي أبي الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني صاحب الوساطة، وأبي الفتح عثمان بن جنِّي النحوي، وأبي العلاء المعري، وأبي علي بن فورَّجة البروجردي رحمهم الله تعالى)، ثم وصل قوله ببيان أسماء كتبهم والكلام عليها واحداً فواحداً وبيان ما لها وما عليها إلا أبا العَلاء المعرّي .

وليس في هذه الكلمة ما يدل على أنه وقف على اللامع العزيزي . ولكنها غرّت كثيراً من الدارسين فأخذوها مأخذ الحقائق وظنوا أن اللامع كان من مصادره، وربما تكلف بعضهم الشواهد لإثبات ذلك. واضطربت الصورة في أذهان بعضهم بسبب الشرح المنسوب زوراً لأبي العلاء المعري باسم معجز أحمد، فظنوا أنه أيضاً كان من مصادر الواحدي وتكلفوا له الشواهد.

(٢) فأمّا من جهة التاريخ المجرّد فيمكن أن يقف الواحدي على اللامع لأنه فرغ من شرحه سنة ٤٦٢، بينما ظهر اللامع قبله بنحو ثلاثين عاماً. وأما من حيث الواقع فإن أثر أولئك الشرّاح المذكورين وغيرهم - وبخاصة ابن جنّي وابن فُورَّجَة - ظاهر جداً في شرحه، ونقوله منهم وردوده عليهم كثيرة بحيث نجزم بوقوفه على كتبهم، إلا أبا العلاء المعرّي. فإذا بحثنا عن اسم أبي العلاء لديه فلن نجد إلا ما يأتي :

* قال في الصفحة ٩٣ (قال أبو العلاء المعري: هذي موضوعة موضع المصدر وإشارة إلى البرزة الواحدة، كأنه يقول : هذه البرزة برزت لنا، كأنه يستحسن تلك البَرْزة الواحدة . وأنشد ... **وهذا تأويل حسن لا ضرورة فيه ولا حاجة إلى الاعتذار**)، وذلك في شرح قول المتنبي (هذي برزت لنا فهِجْتِ نسيسا). ويوجد هذا القول في الفتح لابن فورجة ١٦٢ منسوبًا إلى شيخه أبي العلاء، ولا شك في أن الواحدي نقله من الفتح بدليل أنه نقل تعقيبه عليه (وهذا تأويل حسن). ولا يوجد هذا الكلام بحروفه في اللامع المخطوط، وإنما يوجد فيه أصل المعنى باختلاف وزيادة ونقص، وظاهر أن المعري كان يُملي شرحًا قال مثله لتلميذه قبل أكثر من ثلاثين سنة .

* ونقل في الصفحة ٢٧٧ عن ابن فُورّجة قوله (قرأت على أبي العلاء المعري ومنزلته في الشعر ما قد علمه من كان ذا أدب...) وساق قوله المشهور في عجز الناس عن تغيير كلمة بأحسن منها في شعر أبي الطيب. ولم أجده في الفتح، ويجوز أن يكون في التجني وهو ضائع، والمهم أن الواحدي صرح بأنه لم يأخذه من كتاب أبي العلاء بل بواسطة ابن فورجَة.

* واستشهد في الصفحتين ٢٨٠ و ٣٠٧ ببيتين من شعر المعرِّي (وهما في سَقْط الزَّند). وكان ابن فُورّجة قد استشهد بهما في الفتح ٩٤و١٦٢. ولا تفسير لهذا التوارد على بيتين بعينهما إلا أن الواحدي وجدهما في الفتح .

* وقال في الصفحة ٦٠١ (قال أبو العلاء المعرِّي: بقعتها بفتح الباء: مكان كالبطحاء يعرف ببقعة حرّان). وهذا القول موجود في الفتح ٢٩٣ ولاشك بأنه أخذه منه .

* وقال في الصفحة ٧٤٥ (حكى أبو علي ابن فورجة عن أبي العلاء المعري في هذا البيت يعني أن الغمد بما عليه من الحلي والذهب أنفس من السيف...) وهذا القول في الفتح ١٤٠.

ولم أقف في شرح الواحدي على غير هذه الفوائد الستّ، **فمن الواضح غاية الوضوح** أنه لم يقف على اللامع. ومعلوم أن اللامع حافل بالفوائد النادرة والكلام العالي النفيس على شوائك شعر أبي الطيب مما لا يوجد في شرح الواحدي ولا في غيره، فمن البعيد جداً أن يقف عليه فلا يجد فيه مواضع كثيرة يستفيد منها أو يردّ عليها، وأبعد من ذلك أن يتوارد مع ابن فورجة على هذه المواضع الستّة ولا ينفرد عنه بشيء .

وهذه الفوائد الست وغيرها أخذها ابن فورجة من أبي العلاء في بغداد قبل تصنيف اللامع بنحو ثلاثة وثلاثين عامًا، **والأقرب أنه صنف كتابيه قبل تصنيف اللامع**، وإذن لم يقف الواحدي على اللامع ولا حتى بواسطة ابن فورجة. وأظن أنه أشار إلى شرح أبي العَلاء هذه الإشارة الخاطفة لأنه سمع به ولم يقف عليه، فأراد أن يوحي إلى القارئ من بعيد بأن شرحه يغني عنه !

(٣) وربَّما يقال إن الواحدي قد يكون أغار على أقوال أبي العلاء ولم ينسبها إليه. والحق أن هذا الأمر غير وارد أصلاً؛ لأنه أكبر وأجلّ من ذلك، وبخاصة بعد ذكر أبي العلاء في المقدمة، ولو فعل ذلك لاكتشفه الشرّاح والنقّاد بغير مشقَّة لأن أقوال المعري لا تخفى على الناظرين . ولم أجد شيئًا من ذلك على الرغم من إطالة البحث والموازنة بين الشرحين .

وقد عجبت كثيرًا إذ رأيت محقّقَي كتاب (تفسير أبيات المعاني) لأبي المرشد سُليمان بن علي المعري (المنشور بجامعة أم القرى سنة ١٩٧٩) يشيران في حواشيهما المرّة تلو المرّة إلى أن الواحدي أغار على كلام أبي العلاء المعري الوارد في متن الكتاب. فحصرت هذه الإشارات وهي نحو أربع عشرة (انظر الصفحات ٨٧، ١٠٨، ١٢٤، ١٥٢، ١٦٠، ١٦٥، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، ٢١٦، ٢٤٣، ٢٥٥، ٢٨٦، ٢٩٩)، وراجعتها على شرح الواحدي واحدة واحدة، فلم يسلم منها شيء ! **واتضح أن عبارته تختلف في جميعها اختلافًا بيّنًا ملموسًا عن عبارة المعرّي**. وإليك بيان بعضها:

(أ) قال أبو المرشد في كتابه ٨٧ في شرح قول أبي الطيّب:

إذا لحظت بياضَ الشيب عيني
فقد وجدته منها في السواد

(قال أبو العلاء: أي إني إذا لحظتُ بياض الشيب فكأني لحظتُ به بياضًا في سواد عيني). فقال المحقّقان (**أخذه الواحدي حرفيّاً** ١٣٨ ولم يشر لأبي العلاء). فلننظر ما قال الواحدي (يقول: متى رأيت بياض الشيب في شعري كأني وجدته في سواد عيني لشدة كراهتي له، وإذا بيضّ سواد العين عمي صاحبها، فكأنه يقول الشيب كالعمى). فما أبعد الفرق بين حروف العبارتين.

(ب) وفي المختصر ١٢٤ في شرح قوله:

لا تَتْربِ الأيدي المقيمةُ فوقه
كسرى مقام الحاجبين وقيصرا

(قال الشيخ: لا تترب يدك دعاءً له بأن لا يفتقر، ودعا للأيدي التي صوّرت كسرى وقيصر وجعلتهما كالحاجبين لهذا الشخص المستور، أي إنه أهل أن يكون هذان الملكان حاجبين له)، والشيخ هو أبو العلاء المعري . فقال المحقّقان (**نقله الواحدي** ٧٣٣ ولم يشر لأبي العلاء). وهذا نص كلامه (لا تترب أي لا تفتقر ، يقال ترب إذا افتقر وصار إلى التراب فقرًا، وكسرى لقب ملوك العجم - يقول الكوفيون بكسر الكاف والبصريون

بفتح الكاف – وكانت صورة هذين على الستر كأنهما مقام الحاجبين يحجبان هذا المصوّر، ودعا للأيدي التي نسجت ذلك الستر وصوّرت الملكين عليه بأن لا تترب)، فالخلاف بين العبارتين كما ترى .

(ج) وفي المختصر ١٦٥ في شرح قوله :

إذا التوديعُ أعرض قال قلبي
عليك الصمتَ لا صاحبت فاكا

(قال الشيخ : يقول إذا هممتُ بالتوديع أمرني قلبي بالصمت ودعا عليَّ فقال: لا صاحبت فاك، أي ليتك لا فم لك ينطق به فيودّع). فقال المحقّقان (**نقله الواحدي** ٨٠٢ ولم يشر للمعري). وهذا كلامه (يقول: إذا ظهـر التـوديع قـال لي قلبي اسكت ولا تتكلم بالوداع، ويجوز أن يكون المعنى لا تمدح غيره، ومعنى لا صاحبت فاكا أي لا نطقت)، فأين النقل؟

(د) وفي المختصر ٢١١ في شرح قوله :

يكـــون أحق إثناء عليـــه
على الدنيــا وأهليـهـا مُحـالا

(قـال الشيخ: يقـول كل مـا يوصف به من المكارم والأفعال الجميلة يكون حقاً، وإذا وصف به أهل الدنيا كان محالاً، فإذا قيل هو كريم فالقائل صادق مُحق وإن قيل إن غيره كريم فـالقـائل كـاذب محيل، وكذلك إن أثنى عليه بالشجاعة والحلم وغيرهما مما يُحمد) . فقال المحقّقان (**نقله الواحدي** ٢٢٠ ولم يشر للمعري). وهذا كلامه (يقـول: المدح الذي يُستـعظم للدنيا وأهلها حـتى يكون لإفراطه مُحالاً إذا أطلق عليه كان حقاً لاستحقاقه غاية الثناء، يعني أن الناس كلهم لا يستحقون أدنى ما يستحقه من الثناء). والبـون شـاسع بين العـبارتين كـمـا ترى، ولا أدري كيف يُشرح بيت واحد بأكثر من هذا الاختلاف !

(هـ) وفي المختصر ١٥٢ في تفسير قوله :

ولما فقدنا مثله دام كشفنا
عليه فدام الفقدُ وانكشف الكشفُ

(قال الشيخ: يقول لمّا فقدنا مثله طال كشفنا عن مثله لعلنا نجده فدام فقدنا مثله، وانكشف كشفنا أي زال لأنا يئسنا من وجدان مثله، وهو من قولهم انكشف القوم إذا ولّوا) . فـقـال المحـقّـقـان (**نقله الواحدي** ١٦٩). والحق أنه لم ينقله وإنما اجتهد فوقع على المعنى نفسه وعبّر عنه بعبارة غير العبارة فقال (يقول: لمّا فقدنا نظيره ومن يكون مـثْلاً له دام كشفُنا على حال الفقد عن مـثْل له يعني طلبنا ذلك فلم نجـده وهـو قـوله فـدام الفـقـد، وانكشف الكشف أي زال وبطل لأنا يئسنا من وجود مثله. **ولم يفسّر أحد هذا البيت كما فسّرته وبينتـه**، ولو حكيت تخبُّط الناس في هذا البـيت وأقـوالهم المرذولة والروايات الفـاسـدة طال الخطْب)، وكلام ابن فورجة في الفتح ١٧٦ لا يختلف كثيراً عن كلام الواحدي مع اختلاف العبارة. ولا يخلو كلام الواحدي من المبالغة لأن المعنى ظاهر بشيء من التـأمل، والكشف والانكشـاف بمعنى البحث والانقشاع لايخـفى على المتـوسطين من العلمـاء، ولاشك في أن ابن جني وأباالعـلاء وابن فورجة قد فهموا معنى البيت كما فهمها ولكن عبارته أحسن وأقصد إلى المطلوب. والمهم في الأمر أنه لم ينقل كلا م المعري لأن أصل المعنى موجود عند ابن جني وابن فُورجة وفي بيت أبي الطيّب نفسه !

فالحاصل أن التهمة باطلة، وليس في هذه الأشعار ما يعجز الواحدي عن إدراكه فيحتاج إلى أخذ كلام غيره. ويظهر أن الأستاذين يفهمان معنى النقل على غير الجادّة، وإذا صحّ كلامهما فكل شرح في الدنيا مسروق من الشرح الذي قبله ! وذكرا أيضًا في غير موضع أن الواحدي أخذ أقوال ابن جني بلا عزو، فهذه تهمة أخرى تحتاج كذلك إلى تحرير، ولا أراها تصحّ لأنه سمّاه باسمه في عشرات المواضع، فما وجه الحاجة إلى الإغارة عليه ؟ .

دفع التعارض عن كتاب سيبويه

بهاء الدين عبدالرحمن

كليات البنات - مكة المكرمة

مقدمة : أورد محمد عبدالخالق عضيمة - رحمه الله - في المحاضرة القيمة التي جعلها مقدمة لكتابه (فهارس كتاب سيبويه ودراسة له) بعنوان (تجربتي مع كتاب سيبويه) قضايا مهمة تدور حول نصوص من هذا الكتاب النفيس أعني كتاب سيبويه، فكان مما قاله :

«في كتاب سيبويه مسائل استشكلتها، وتعذر عليَّ فهمها والتوفيق بين نصوصها ودفع ما بينها من تعارض» (١).

ثم أورد خمس مسائل، كان لسيبويه فيها كلام ظاهره التعارض. وذكر أن بعض ما في كتاب سيبويه قد خفي على كثير من الأئمة الأعلام، وأورد أمثلة على ذلك.

وقد حققتُ أمر هذه المسائل التي يبدو كلام سيبويه فيها متناقضاً، وكذلك حققت بعض الأمثلة التي ذكرها لاختلاف العلماء في الرواية عن سيبويه.

وقبل أن أورد هذه المسائل وأتبعها التحقيق أنوِّه بفضل أستاذي الجليل محمد عبدالخالق عضيمة - رحمه الله - فقد أفدت من علمه الغزير كما أفاد منه غيري من طلبة الدراسات العليا في كلية اللغة العربية بالرياض، فجزاه الله عنّا خير الجزاء.

ولست أزعم في تحقيقي لهذه المسائل أني في منزلة علمية تداني منزلة الشيخ رحمه الله، فدون ذلك خرط القتاد، ولكني حاولت العمل بوصيته التي ختم بها المسائل التي أوردها حيث قال: «ليس من غرضي أن أوجه نقداً لسيبويه وإنما هي مسائل تعذّر عليّ فهمها، فذكرتها لعلّ غيري يستطيع لها حلاً وتوفيقاً، ويدفع ما بينها من تعارض» (٢).

المسألة الأولى:

قال شيخنا رحمه الله : « الهمزة المتصدرة أربعة أصول في الأسماء الجامدة : نحو إصطخر، إصطبل، إبراهيم ، إسماعيل . لسيبويه فيها نصوص يعارض بعضها بعضًا قال بما يفيد زيادتها في ٢ / ٣٤٣ : فالهمزة إذا لحقت أولاً رابعة فصاعدًا فهي مزيدة أبدًا عندهم » .

وقال بما يفيد أصالتها في ٢/ ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٤ .

قال الشيخ : «الهمزة في الأسماء الجامدة التي لا تحتمل اشتقاقين إما أن تكون زائدة أو أصلية ، ولا تحتمل أن تكون زائدة وأصلية في وقت واحد باعتبار واحد»(٣) وقال أيضًا : ومن العجيب أن يتابع المازني سيبويه في المسألة على ما فيها من اضطراب .

قلت : سأذكر كلام سيبويه في المواضع التي أشار إليها الشيخ، ثم أُوردُ تحقيق المسألة إن شاء الله .

قال سيبويه في الباب الذي ترجم له بقوله :

« هذا باب علل ما تجعله زائدًا من حروف الزوائد وما تجعله من نفس الحرف :

فمن حروف الزوائد ما تجعله إذا لحق رابعًا فصاعدًا زائدًا أبدًا ، وإن لم يُشتق ما تذهب فيه الزيادة لا تجعله من نفس الحرف إلا بثبت، ومنها ما تجعله من نفس الحرف، ولا تجعله زيادة إلا بثبت.

فالهمزة إذا لحقت أولاً رابعة فصاعدًا ، فهي مزيدة أبدًا عندهم ألا ترى أنك لو سميت رجلاً بأفكل وأيدع، لم تصرفه، وأنت لا تشتق منهما ما تذهب فيه الألف ، وإنما صارت هذه الألف عندهم بهذه المنزلة وإن لم يجدوا ما تذهب فيه مشتقًا لكثرة تبينها زائدة في الأسماء والأفعال» (٤) .

هذا هو الموضع الذي أشار إليه الشيخ رحمه الله وفهم منه أن سيبويه يقول بزيادة الهمزة في نحو إصطخر وإصطبل وإبراهيم وإسماعيل، وذلك بناءً على عبارة سيبويه (فالهمزة إذا لحقت أولاً رابعة فصاعدًا فهي مزيدة أبدًا عندهم) .

أما المواضع التي أشار إليها الشيخ وذكر أنّ سيبويه قال فيها بأصالة همزة نحو إصطخر، فليس من بينها إلا موضع واحد تعرض فيه للحديث عن الهمزة وهو قوله :

« وإذا حقرت (استبرق) قلت : أبيرق ، وإن شئت أبيريق على العوض لأن السين والتاء زائدتان لأن الألف إذا جعلتها زائدة لم تدخلها على بنات الأربعة ولا الخمسة وإنما تدخلها على بنات الثلاثة ...» (٥) .

فقوله : (لأن الألف إذا جعلتها زائدة لم تدخلها على بنات الأربعة ولا الخمسة ، وإنما تدخلها على بنات الثلاثة).

يُفهم منه أنه يحكم على همزة نحو إصطخر بالأصالة لأن بعد الهمزة أربعة أصول .

والتحقيق أنه لا تعارض بين قوليْ سيبويه في هذين الموضعين ، ففي الموضع الأول ذكر أن الهمزة إذا دخلت أولاً وكانت رابعة ، أي : كان بعدها ثلاثة أصول كانت زائدة إلا أن يقوم دليل على أصالتها ، وفي الموضع الثاني ذكر أن الهمزة لا تزاد في أول الرباعي أو الخماسي ، فإذا وجدنا الهمزة في أول كلمة وكان بعدها أربعة أصول حكمنا بأصالة الهمزة .

والذي أشكل على شيخنا - رحمه الله - قول سيبويه (رابعة فصاعدًا)، حيث يفهم منه أن تكون الهمزة زائدة في الأول خامسة وسادسة ، أي: تكون زائدة ولو كان بعدها أربعة أصول ، وهذا مناقض لقوله الآخر ، ولكن الأمثلة التي أوردها سيبويه إيضاحًا لقوله (رابعة فصاعدًا) ليس فيها ما جاءت فيه الهمزة قبل أربعة أصول ، وإنما كان حديثه كله عن الهمزة التي تسبق ثلاثة أصول نحو أفكل وأيدع ، فيجب تفسير قوله (فالهمزة إذا لحقت أولاً رابعة فصاعدًا فهي مزيدة أبدًا عندهم) على النحو الآتي حتى يندفع التناقض :

فالهمزة إذا لحقت أولاً رابعة لثلاثة أصول أو خامسة وبعدها ثلاثة أصول وحرف زائد ، أو سادسة وبعدها ثلاثة أصول وحرفان زائدان - كانت زائدة ، فقوله (صاعدًا) يفسر على هذا النحو أي: فذهب العددُ مع الأصول الثلاثة بعد الهمزة صاعدًا ، وبهذا يزول الإشكال ويُدْفَعُ التعارض بين قولي الإمام رحمه الله .

وهذا الذي ذكرتُ لا خلاف فيه بين النحاة فالقاعدة في زيادة الهمزة الواقعة أولاً هي ما أورده السخاوي في سفر السعادة :

«متى كانت الهمزة في أول الكلمة ومعها أربعة أحرف من الأصول فهي أصل عُرِف [لها] اشتقاق أو لم يعرف والكلمة بها من الخماسي... فإن كانت الهمزة أولاً وبعدها ثلاثة أحرف أصول قضي بزيادتها سواء كان معها في الكلمة زيادة أخرى أو لم يكن ، وسواء عرف الاشتقاق أو جُهل إلا أن يدل على أصالتها دليل فعلى هذا قالوا: الهمزة في إبراهيم وإسماعيل ونحو ذلك أصل لأنها أول وبعدها أربعة أحرف أصول، وتكون الهمزة في (إسحاق) على ما قرر زائدة ، لأنها أول وبعدها ثلاثة أحرف أصول » (٦) .

فهذا يؤيد ما ذكرت في تفسير قوله (فصاعدًا)، فالهمزة في (إسحاق) لحقت أولاً وهي خامسة، بعدها ثلاثة أصول وحرف زائد .

وربما كان شيخنا – رحمه الله – متأثرًا بما ذكره أبو حيان في ارتشاف الضرب عن تصغير إبراهيم وإسماعيل، حيث قال: «وقال سيبويه : بريهيم وسميعيل إذ الهمزة عنده زائدة، وهو الصحيح الذي سمعه أبو زيد وغيره من العرب» (٧) .

قلتُ : صحيح أن مذهب سيبويه في تصغير إبراهيم وإسماعيل هو ما ذكره أبو حيان: بريهيم وسميعيل ، ولكن سيبويه لم يصرح بزيادة الهمزة (٨) ، ولكن لما حذف الهمزة ولم يحذف الميم من الآخر كما فعل المبرد الذي يذهب إلى أن تصغيرهما: أبيريه وأسيميع أو أبيره وأسيمع، قلت لما حذف سيبويه الهمزة في التصغير ظن أبو حيان أنه يحكم بزيادة الهمزة، والذي يظهر أن سيبويه حذف الهمزة ولم يحذف الميم مع أنهما أصلان وأن الميم أولى بالحذف في القياس لأنها في الآخر – لأن زيادة الهمزة في الأول كثيرة فأجرى الأصلي مجرى الزائد، وقد ذهب الرضي إلى أن مذهب سيبويه يقتضي أن تكون الهمزة والميم زائدتين في إبراهيم، وكذلك الهمزة واللام في إسماعيل لأنه حكى أن المسموع في تصغير الترخيم فيهما: بريه، وسميع (٩) .

وعلى هذا تكون الهمزة زائدة وبعدها ثلاثة أصول فقط .

المسألة الثانية :

قال شيخنا – رحمه الله – : «والوصف الذي على وزن (فَعالِ) في سبِّ الأنثى، نحو : يا لكاعِ ، ويا خباث » قال عنه سيبويه في ٣١١/١: ويدلك على أنه اسم للمنادى أنهم لا يقولون في غير النداء: جاءتني خباثِ ولكاعِ .

وقال عنه في ٢ / ٣٨ : « ومما جاء من الوصف منادى وغير منادى: يا خباث ويا لكاع »(١٠) انتهى كلام الشيخ ، رحمه الله .

وسأورد كلام سيبويه بتمامه في الموضعين وأبين وجه التوافق بينهما إن شاء الله .

قال سيبويه في الموضع الأول الذي أشار إليه الشيخ: « ومما يدلك على أن (يا فاسق) معرفة قولك: يا خباثِ ويا لكاعِ : ويا فساق، تريد: يا فاسقة ويا خبيثة ويا لكعاء ، فصار هذا اسمًا لهذا كما صارت (جعار) اسمًا للضبع ، وكما صارت (حذام) و(رقاش) اسمًا للمرأة، و(أبو الحارث) اسمًا للأسد .

ويدلك على أنه اسم للمنادى أنهم لا يقولون في غير النداء: جاءتني خباثِ ولكاعِ ، ولا لكعُ ولا فُسَق، فإنما اختص النداء بهذا الاسم أن الاسم معرفة ، كما اختص الأسد بأبي الحارث إذ كان معرفة ، ولو كان شيء من هذا نكرة لم يكن مجرورًا ، لأنها لا تجر في النكرة.

ومن هذا النحو أسماء اختص بها الاسم المنادى لا يجوز شيء منها في غير النداء ، نحو : يا نومان ويا هناه، ويا فُلُ » (١١) .

وقال في الموضع الآخر : «هذا باب ما جاءَ معدولاً عن حده من المؤنث كما جاء المذكر معدولاً عن حده نحو: فُسَقُ، ولُكَع، وعُمر، وزُفَر، وهذا المذكر نظير ذلك المؤنث .

فقد يجيء هذا المعدول اسمًا للفعل واسمًا للوصف المنادى المؤنث، كما كان فُسَق ونحوه للمذكر، وقد يكون اسمًا للوصف غير المنادى، وللمصدر، ولا يكون إلا مؤنثًا لمؤنث، وقد يجيء معدولاً كعمر ليس اسماً لصفة ولا فعلٍ ولا مصدر .

أما ما جاء اسماً للفعل وصار بمنزلته فقول الشاعر:

مناعِها من إبِلٍ مناعِها

ألا ترى الموت لدى أرباعها

....

ومما جاء من الوصف منادًى وغير منادى : يا خباث ويا لكاع ، فهذا اسم للخبيثة واللكعاء ، ومثل ذلك قول الشاعر، النابغة الجعدي :

فقلت لها عيثي جَعارِ وجرري

بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره

وإنما هو اسم للجاعرة ، وإنما يريد الضبع، ويقال لها: قثام ، لأنها تقثم أي : تقطع. وقال الشاعر :

لحقت حلاقِ بهم على أكسائهم

ضرب الرقاب ولا يهم المغنم

فحلاق معدول عن الحالقة ، وإنما يريد بذلك المنية لأنها تحلق ...

ومما جاء اسمًا للمصدر قول الشاعر النابغة :

إنا اقتسمنا خطتينا بيننا

فحملتُ برةَ واحتملت فَجارِ

ففجارِ معدول عن الفَجْرَة ...

وكذلك كل (فعالِ) إذا كانت معدولة عن غير (افعلْ) إذا جعلتها اسمًا، لأنك إذا جعلتها علمًا فأنت لا تريد ذلك المعنى وذلك نحو: حلاقِ التي هي معدولة عن الحالقة ، وفجارِ التي هي معدولة عن الفجرة وما أشبه ذلك. ألا ترى أن بني تميم يقولون: هذه قطامُ وهذه حذامُ، لأن هذه معدولة عن حاذمة وقطام معدولة عن قاطمة أو قطمة ، وإنما كل واحدة منهما معدولة عن الاسم الذي هو علم ليس صفة، كما أن عُمَرَ معدول عن عامر علمًا لا صفة . لولا ذلك لقلت: هذا العمر، تريد: العامر » (١٢) انتهى كلام سيبويه .

وقد نقلت كلام سيبويه في هذا الموضع على طوله لأبيِّن أنه لا تعارض بين كلامه هنا وكلامه ثَمَّ والتحقيق بعدُ أن كلام سيبويه في الموضعين متوافق لا تناقض فيه: ففي الموضع الأول حدد لنا سيبويه الأسماء الخاصة بالنداء، وهي: خباثِ ولكاعِ وفساقِ ولُكَعُ وفُسَقُ ونومان وهناه .

أما حديثه في الموضع الآخر فكان عن الأسماء المؤنثة المعدولة بعامة واستعمالات هذه الأسماء، لأن (فعالِ) ليست مختصة بالنداء وحده، وإنما المختص بالنداء من الأسماء الواردة على هذا الوزن هو :

خباث، ولكاع، وفساق، أما غير هذه الأسماء مما ورد على وزن (فَعالِ) فلها استعمالات أجملها سيبويه في الموضع الثاني ثم فصلها على طريقة اللف والنشر، فقد كان الإجمال في قوله: « فقد يجيء هذا المعدول اسمًا للفعل، واسمًا للوصف المنادى المؤنث ... وقد يكون اسمًا للوصف غير المنادى، وللمصدر وقد يجيء معدولاً كعمر ليس اسمًا لصفة ولا فعل ولا مصدرًا » .

ثم فصل هذا الإجمال الذي يبين أوجه استعمال ما كان معدولاً على وزن (فعالِ) ، وهذه الأوجه هي:

١ – اسم فعل

٢ – اسم وصف في النداء

٣ – اسم وصف في غير النداء

٤ – اسم مصدر

٥ – اسم علم

وفي التفصيل أورد شواهد لكل وجه من هذه الأوجه فذكر أسماء الأفعال الواردة على هذا الوزن وهي: مناعِ، وتراكِ، ونظارِ، وحذارِ، ونعاءِ ولكني اقتصرت على شاهد واحد بغية الاختصار ثم انتقل لإيراد الأمثلة الخاصة بما ورد اسمًا للوصف في النداء، وما ورد اسمًا للوصف في غير النداء، فقال: «ومما جاء من الوصف منادًى وغير منادًى: يا خباث ويا لكاع، فهذا اسم للخبيثة وللكعاء ومثل ذلك قول الشاعر النابغة الجعدي :

فقلت لها عيثي جعارِ وجرري ...

وقال الشاعر: **لحقت حلاقِ بهم على أكسائهم** ».

فخباث ولكاع مثالان لما ورد اسمًا للوصف منادًى وجعار وحلاق مثالان لما ورد اسمًا للوصف غير منادًى، على طريقة اللف والنشر كما هو واضح. والذي أشكل على شيخنا – رحمه الله – أنه اكتفى بجزء من كلام سيبويه ولم يتمه فظن أن كلامه ينتهي عند قوله يا لكاع، أي أخذ بمقتضى جزء من كلامه وهو قوله « ومما جاء من الوصف منادًى وغير منادًى يا خباث ويا لكاع » فظن أن سيبويه يجيز استعمال خباث ولكاع في غير النداء، ولو أنه أمعن النظر في الكلام بتمامه لوجد أن سيبويه جعل (خباث ولكاع) مثالين للوصف المنادى، وجعل (جعار) و(حلاق) للوصف غير المنادى .

وجعار وإن كان منادًى في البيت الذي ذكره سيبويه لكنه غير مختص بالنداء فيجوز أن يقال: جاءت جعار . وبهذا يندفع التعارض عن كلام سيبويه في الموضعين .

المسألة الثالثة :

قال شيخنا رحمه الله : « قال [يعني سيبويه] عن الخلف والتحت والأمام في ١ / ٢٠٤ : فأما الخلف والأمام والتحت فهن أقل استعمالاً في الكلام أن تجعل أسماء، وقد جاءت على ذلك في الكلام والأشعار » وقال عنها في ٢٠٧/١: «وأما الخلف والأمام والتحت والدون فتكون أسماء وكينونة تلك أسماء أكثر وأجرى في كلامهم» (١٣) .

قلتُ: فَهِم – رحمه الله – أن المشار إليه بـ (تلك) في قوله (وكينونة تلك أسماء أكثر) هو الخلف والأمام والتحت والدون، وليس الأمر كذلك فالمشار إليه هو ما ذكره قبل هذه الظروف من مثل القصد والنحو والقُبُل والناحية، وكلام سيبويه بتمامه هو : « واعلم أن هذه الظروف أشد تمكنًا في أن يكون اسمًا من بعض، كالقصد والنحو والقبل والناحية، وأما الخلف والأمام والتحت والدون فتكون أسماءً، وكينونة تلك أسماء أكثر وأجرى في كلامهم» (١٤) .

فالإشارة بـ (تلك) إنما هي إلى القصد والنحو والقبل والناحية لا إلى الخلف والأمام والتحت والدون ولو أراد الإشارة إلى الخلف والأمام لقال : (وكينونة هذه أسماء) أي لاستعمل الإشارة إلى القريب، لكنه استعمل الإشارة إلى البعيد، فدلّ ذلك أن المراد به ما ذكره قبل هذه الظروف القريبة وهي القصد والنحو والقبل والناحية، وعلى هذا فكلامه في هذا الموضع متفق مع كلامه في الموضع الأول وهو قوله: «واعلم أن الظروف بعضها أشد تمكنًا من بعض في الأسماء نحو القبل والقصد والناحية، وأما الخلف والأمام والتحت فهن أقل استعمالاً في الكلام أن تجعل أسماء، وقد جاءت على ذلك في الكلام والأشعار» (١٥) .

وبهذا يندفع التعارض بين الموضعين .

المسألة الرابعة :

قال شيخنا – رحمه الله –: « الوصف الذي على وزن (فَعْلان) كعطشان وخمصان، جعل سيبويه علة منعه من الصرف مشابهة الألف والنون لألف التأنيث المدودة، وعدّد وجوه هذا الشبه في ٢/ ١٠، ثم قال في ٢/١٠٨، ٣١٤: "إن النون بدل من الهمزة" ثم قال الشيخ: «تابع المبرد سيبويه في المسألة الرابعة والنحويون يقولون إن المبرد خالف سيبويه فزعم أن النون بدل من الهمزة، وسيبويه صرّح بأن النون بدل من الهمزة في موضعين» (١٦) .

قلت : هذه المسألة تحتاج إلى فضل تأمل وبحث، ذلك أن سيبويه قال فيما ينصرف وما لا ينصرف : «هذا باب ما لحقته نون بعد ألف فلم ينصرف في معرفة ولا نكرة، وذلك نحو: عطشان وسكران، وعجلان، وأشباهها. وذلك أنهم جعلوا النون حيث جاءت بعد ألف كألف حمراء، لأنها على مثالها في عدة الحروف والتحرك والسكون، وهاتان الزائدتان قد اختص بهما المذكر، ولا تلحقه علامة التأنيث، كما أن حمراء لم تؤنث على بناء المذكر، ولمؤنث سكران بناء على حدة كما كان لمذكر حمراء بناء على حدة، فلما ضارع (فعلاء) هذه المضارعة وأشبهها فيما ذكرت لك أجري مجراها» (١٧) .

ففي هذا النص يذكر لنا سيبويه أوجه الشبه بين (فَعْلان) و(فَعْلاء)، وليس فيه ما يدل على أن النون في (فعلان) بدل من الهمزة في (فعلاء) لكن ليس فيه التصريح بأن النون ليست بدلاً من الهمزة فهذا الأمر مسكوت عنه هاهنا.

فإذا انتقلنا إلى الموضع الثاني وجدناه يقول عن نون (فعلان) في معرض حديثه عن تصغير (فعلاء) و(فَعْلان): «وكذلك فعلان الذي له فعلى عندهم لأن هذه النون لما كانت بعد ألف، وكانت بدلاً من ألف التأنيث حين أرادوا المذكر صار بمنزلة الهمزة التي في حمراء، لأنها بدل من الألف، ألا تراهم أجروا على هذه النون ما كانوا يجرون على الألف كما كان يُجرى على الهمزة ما كان يجرى على التي هي بدل منها» (١٨).

وهذا النص – وإن صرح فيه أن النون بدل من الهمزة – ليس قاطعًا في الدلالة على مذهبه، لأنه ربما فُسّر البدل هنا بأنه ليس البدل الاصطلاحي وإنما هو بمعنى المقابل، فكأنه قال: إن النون في (فعلان) يقابل الهمزة في (فعلاء) من حيث ما يجري عليهما من أحكام صرفية فكأن النون بدل من الهمزة، وقد فَسَّر أبو علي الفارسي قول سيبويه هنا بما ذكرت حيث قال في التعليقة على كتاب سيبويه: «النون في فعلان بدل من ألف التأنيث، لأن ألف التأنيث لم تدخل عليه ، كما لا تدخل علامة التأنيث على ما فيه علامته فلما امتنع علامة التأنيث من دخولها عليه كما يمتنع من الدخول على ما فيه له علامة عُلِم أن النون بمنزلة الهمزة، إذ لم يجتمعا معًا كما لا يجتمع الحرفان اللذان كل واحد منهما بمعنى الآخر أو عوض منه» (١٩) .

وقد أشار ابن جني أيضًا إلى أن بعض النحويين يرى أن المراد من البدل هنا هو الشبيه أو المثيل الذي له الحكم نفسه، ولعله يقصد مذهب أستاذه أبي علي، حيث قال في سر صناعة الإعراب حاكيًا هذا المذهب: «ليس غرضهم هنا البدل الذي هو نحو قولهم في ذئب: ذيب، وفي جؤنه: جونة، وإنما يريدون أن النون تعاقب في هذا الموضع الهمزة، كما تعاقب لام المعرفة التنوين، أي: لا تجتمع معه، فلما لم تجامعه قيل إنها بدل منه، وكذلك النون والهمزة» (٢٠) .

ثم قال ابن جني: وهذا مذهب ليس ببعيد .

فإذا كان هذا مفهوم البدل في كلام سيبويه ها هنا فليس بينه وبين كلامه السابق عن التشابه بين النون والهمزة أي تعارض، ولكن كلامه في الموضع الثالث الذي أشار إليه شيخنا يفهم منه أنه يريد البدل الاصطلاحي فقد تحدث عن النون في باب حروف البدل وقال: «والنون تكون بدلاً من الهمزة في فعلان فَعْلى، وقد بيّن ذلك فيما ينصرف وما لا ينصرف، كما أن الهمز بدل من ألف حمرى» (٢١) .

فسيبويه ها هنا يريد البدل الاصطلاحي أي أن أصل النون في (فعلان) هو الهمزة، كما أن أصل الهمزة في حمراء هو الألف، فهل بين قوله هذا وقوله في باب ما لا ينصرف بأن النون تشبه الهمزة تعارض ؟

لا أجد تعارضًا بين النصين كيف وصاحب النص ها هنا يحيلنا إلى قوله هناك في باب ما لاينصرف فيقول: (وقد بيّن ذلك فيما ينصرف وما لا ينصرف) فكأنه يريد من القارئ أن يرجع إلى ما كتبه في ذلك الباب ليقف على السبب الذي جعله يحكم بأن أصل النون في (فعلان) همزة، لذلك يجب أن تحمل أوجه الشبه التي ذكرها سيبويه في ذلك الموضع على أنها أدلة على أن أصل النون في (فعلان) همزة وأن الأصل كان (فعلاء) فأبدلت الهمزة نونًا ليكون البناء مختصًا بالمذكر، وقد سلك ابن جني هذا المسلك في بداية باب النون من كتابه سر صناعة الإعراب، وفصل تفصيلاً شافيًا هذا المذهب فقال :

« وأما البدل فذهب أصحابنا إلى أن النون في فعلان فَعْلى نحو سكران وغضبان وولهان وحيران بدل من همزة (فعلاء) نحو حمراء وصفراء، وإنما دعاهم إلى القول بهذا أشياء:

منها أن الوزن في الحركة والسكون في فَعْلان وفعلاء واحد، وأن في آخر (فعلان) زائدتين زيدتا معًا والأولى منهما ألف ساكنة كما أن فعلاء كذلك .

ومنها أن مؤنث فعلان على غير بنائه، إنما هو فعلى كما أن مذكر فعلاء على غير بنائها، إنما هو أفعل ومنها أن آخر فعلاء همزة، وهي علامة التأنيث كما أن آخر فعلان نون، تكون في (فَعَلْنَ) نحو قمنَ وقعدنَ علامة تأنيث .

فلما اشتبهت الهمزة والنون هذا الاشتباه وتقاربتا هذا التقارب ، لم يَخْلُوَا منْ أن يكونا أصلين، كل واحد منهما قائم بنفسه غير مبدل من صاحبه أو يكون أحدهما منقلبًا عن الآخر، فالذي يدل على أنهما ليسا أصلين بل النون بدل من الهمزة قولهم في صنعاء وبهراء لما أرادوا الإضافة إليهما: صنعاني وبهراني، فإبدالهم النون من الهمزة في صنعاء وبهراء يدل على أنها في باب فعلان فعلى بدل من همزة فعلاء» (٢٢) فكلام ابن جني هذا تلخيص واضح في بيان مذهب سيبويه ودفع التعارض عن كلامه في المواضع الثلاثة التي تحدث فيها عن نون (فعلان) .

أما ما أشار إليه الشيخ من أن النحويين يقولون إن المبرد خالف سيبويه في هذه المسألة فيبدو أنه نقله من أبي حيان الذي ذكر في الارتشاف أن شبه الزيادتين (يعني الألف والنون) بألف التأنيث يمنع من الصرف ذكره سيبويه في باب ما ينصرف خلافًا للمبرد في زعمه أنه امتنع لكون النون بعد الألف مبدلة من ألف التأنيث، والقولان عن أبي علي (٢٣) .

وقد ذكر الرضي أيضًا أن المبرد يجعل النون في فعلان بدلاً الهمزة، ولكنه لم يذكر أنه في ذلك مخالف لسيبويه (٢٤) .

وقد تبين مما عرضته أن لا خلاف بين سيبويه والمبرد في هذه المسألة، فلعل أبا حيان لم يقف على الموضعين اللذين صرح فيهما سيبويه بأن النون بدل من الهمزة .

المسألة الخامسة :

قال شيخنا – رحمه الله – « في كتاب سيبويه نص يمنع وقوع (كل) المضافة للنكرة مفعولاً به» قال في ٢٧٤/١ : «أكلت شاةً كل شاة، حسنٌ وأكلتُ كلَّ شاة، ضعيفٌ، لأنهم لا يعمّون هكذا فيما زعم الخليل».

قال الشيخ: «رجعت إلى شرح السيرافي لكتاب سيبويه ٢/٢١٥–٢١٦ فوجدته لم يعلق شيئًا على كلام سيبويه . وهذا الذي منعه سيبويه قد جاء كثيرًا في القرآن جاءت (كل) المضافة للنكرة مفعولاً به في (٢٦) موضعًا ، في سورة الأنعام وحدها هذه المواضع :

١ – وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها . الأنعام : ٢٥.
٢ – وسع ربي كل شيء علمًا. الأنعام : ٨٠ .
٣ – وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلاً . الأنعام : ١١١ .
٤ – وخلق كلَّ شيء . الأنعام : ١٠١.
٥ – وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر . الأنعام : ١٤٦ .

وجاءت (كل) المضافة للنكرة فاعلاً ، ونائب فاعل واسمًا لكان وخبرًا لأنّ ومفعولاً مطلقًا، وظرفًا، ومضافًا إليه، وغير ذلك» انتهى كلام الشيخ رحمه الله.

قلت: ليس في النص الذي أورده الشيخ ما يفيد بمنع أن يكون (كل) المضافة إلى النكرة مفعولاً به، فحديث سيبويه عن التوكيد بـ (كل)، فهو يريد أن يقول: لو أردتَ تأكيد النكرة بـ (كل) في نحو: أكلت شاة، فالحسنُ أن يقال: أكلت شاةً كلَّ شاةٍ ، بمعنى: أكلت شاةً كاملة، والضعيف أن يعبر عن هذا المعنى بأن تقول: أكلت كلَّ شاة، وأنت تريد شاة كلها أو شاة بكاملها، ويتأكد ما ذكرتُ إذا عرضنا نص سيبويه – وهو يحاور الخليل – كاملاً، قال سيبويه: «وزعم الخليل رحمه الله أنه يستضعف أن يكون (كلهم) مبنيًا على اسم، أو على غير اسم، ولكنه مبتدأ أو يكون (كلهم) صفة، فقلت: ولم استَضعفْتَ أن يكون مبنيّاً؟ فقال: لأن موضعه في الكلام أن يُعَمَّ به غيره من الأسماء بعدما يذكر، فيكون (كلهم) صفة أو مبتدأ، فالمبتدأ قولك: إن قومك كلُّهم ذاهبٌ، أو ذكر قوم، فقلت: كلُّهم ذاهبٌ فالمبتدأ بمنزلة الوصف، لأنك إنما ابتدأت بعدما ذكرت ولم تبنه على شيء، فعممتَ به، وقال: أكلتُ شاةً كل شاة، حسن، وأكلت كلَّ شاةٍ ضعيف ، لأنهم لا يعمون هكذا فيما زعم الخليل رحمه الله، وذلك أن (كلهم) إذا وقع موقعًا يكون الاسم فيه مبنيّاً على غيره شبه بأجمعين وأنفسهم ونفسه فألحق بهذه الحروف لأنها إنما توصف بها الأسماء، ولا تبنى على شيء، وذاك أن موضعها من الكلام أن يعم بها بعضها ويؤكد ببعضها بعدما يذكر الاسم، إلا أن (كلهم) قد يجوز فيها أن تبنى على ما قبلها، وإن كان فيها بعض الضعف، لأنه قد يبتدأ به فهو يشبه الأسماء التي تبنى على غيرها» [٢٥] انتهى كلام سيبويه .

فالعبارة التي استند إليها الشيخ رحمه الله في أن سيبويه يمنع وقوع (كل) المضافة للنكرة مفعولاً به لا تدل أبدًا على ما ذهب إليه، وإنما تدل على أنه يضعف التوكيد بـ (كل) إذا لم يُذكر قبلها المؤكَّد فإذا أردنا توكيد وتعميم الشاة في قولنا: أكلت شاةً ، فالحسن أن يقال: أكلت شاةً كلَّ شاة، بمعنى: أكلت شاةً كلها، غير أنه لا يقال (كلها) وإنما يقال: كل شاة، والكوفيون يجيزون: أكلت شاة كلها، أعني يجيزون توكيد النكرة، أما إذا قلنا: أكلت كل شاة، ونحن نريد التعميم والتوكيد بـ (كل) فهو ضعيف، والدليل على ما ذكرت، قول الخليل. لأنهم لا يعمون هكذا، أي لأنهم لا يؤكدون بـ (كل) هكذا، ذلك أن (كل) موضوعة للتوكيد المراد به التعميم ولكن يجوز أن تأتي لغير التوكيد أيضًا كما ذكر سيبويه بأنها قد ترد مبتدأ أو مبنيّاً على المبتدأ أي خبرًا، أو غير ذلك بحسب موقعها، وعلى ذلك، فقولنا: أكلت كل شاة، ضعيف إذا أردنا توكيد الشاة أو تعميمها، ولكن إذا لم نرد فلا ضعف فيها، ذلك أن (كل) إذا أضيفت إلى نكرة لا تكون توكيدًا، وإنما تعرب بحسب موقعها على ما ذكره سيبويه بعد كلامه ذاك بقليل حيث قال: «وأما (كل شيء) و(كل رجل) فإنما يبنيان على غيرهما، لأنه لا يوصف بهما» [٢٦] أي يعربان بحسب موقعهما من الجملة ولا يؤكد بهما .

وبهذا يتبين أن سيبويه لا يمنع وقوع (كل) المضافة

للنكرة مفعولاً بها، وإنما يمنع تأكيد المعرفة بها.

وإذ انتهينا من بحث المسائل التي استشكلها أستاذنا الشيخ محمد عبدالخالق عضيمة ننتقل إلى مسائل أخرى من مقدمته النفيسة تحتاج إلى بحث وتحقيق .

١ - اشتقاق لفظ الجلالة

قال شيخنا رحمه الله: «حكى الزجاج عن سيبويه قولين في اشتقاق لفظ الجلالة: من (أله) أو (لاه) .

ردّ على الزجاج تلميذه أبو علي الفارسي ، بأن هذا الذي حكاه الزجاج عن سيبويه سهو وغلط وألف كتابًا في الرد على الزجاج سماه (الأغفال) .

ردّ ابن خالويه على أبي عليّ بأنه قد صح القولان عن سيبويه، ولا ينكر أن تكون هذه الحكاية قد ثبتت عند الزجاج برواية له عن سيبويه من غيره جهة كتابه، فلا يكون حينئذ سهوًا وغلطًا.

ردّ أبو علي على ابن خالويه في كتاب سماه (نقض الهاذور) فقال: «إن الذي يحكي هذه الحكايات متقوّل كذاب، ومتخرّص أفّاك، لا يشكّ في ذلك أحد له أدنى تنبه وتيقظ، ولم يصغ إلى القبول منه والاشتغال به إلا الأغمار الأغفال الذين لا معرفة لهم بالرواة ورواياتهم وتمييز صادقهم من كاذبهم» .

القارئ لهذا الكلام يقع في حيرة، وهو في حاجة إلى من ينقذه من هذه الحيرة، فيبين له : هل قال سيبويه بالاشتقاقين أو لا؟ والبغدادي مع غزارة علمه وسعة اطلاعه روى لنا هذه المعركة الحامية، ولم يحسم هذا الخلاف بالرجوع إلى كتاب سيبويه وتحكيمه في هذا النزاع .

وأقول [والقول لا يزال للشيخ رحمه الله] إن سيبويه ذكر الاشتقاقين: ذكر اشتقاق لفظ الجلالة من (أله) في الجزء الأول ص٣٠٩، ثم ذكر اشتقاق من (لاه) في الجزء الثاني ص١٤٤ .

عجيب أمر سيبويه! اشتقاقان للفظ واحد أما كان الأجمل أن يذكرهما في موضع واحد في الجزء الأول، أو في الثاني، ولا يباعد بينهما، فيترك العلماء يختلفون وينال بعضهم من بعض» (٢٧) انتهى كلام الشيخ رحمه الله .

قلت: يُفهم من كلام الشيخ أن الخلاف بين الزجاج وأبي علي الفارسي إنما هو في أن الزجاج حكى عن سيبويه قولين في اشتقاق لفظ الجلالة، وأن أبا علي أنكر أن يكون لسيبويه قولان في هذا الاشتقاق .

وليس الأمر كما فهم الشيخ رحمه الله فالخلاف ليس في أن لسيبويه قولين في اشتقاق لفظ الجلالة أو قولاً واحدًا، ذلك أن أبا علي نفسَه يثبت لسيبويه القولين اللذين ذكرهما الزجاج، حيث قال في الأغفال : «فأما قولنا (الله) فقد حمله سيبويه على ضربين أحدهما أن يكون أصل الاسم (إلاه) ففاء الكلمة على هذا همزة، وعينها لام والألف ألف (فِعال) الزائدة، واللام هاء، والقول الآخر أن يكون أصل الاسم (لاه) ووزنه (فَعَل) » (٢٨) .

وإنما الخلاف بينهما في أمر آخر، ذلك أن أبا علي أنكر على الزجاج قوله : «قال سيبويه سألت الخليل عن هذا الاسم فقال: الأصل فيه إله، فأدخلت الألف واللام بدلاً من الهمزة، وقال مرة أخرى: الأصل لاه، وأدخلت الألف واللام لازمة» (٢٩) .

فالذي أنكره أبو علي واعترض به على الزجاج قول الزجاج (قال سيبويه سألت الخليل) حيث قال أبو علي إن سيبويه لم يسأل الخليل في هذه المسألة، وهو الصحيح فليس في كتاب سيبويه ما يفيد أن سيبويه سأل الخليل عن اشتقاق لفظ الجلالة وإليك قول سيبويه في الموضعين اللذين تعرض فيهما لذكر اشتقاق لفظ الجلالة .

قال : «واعلم أنه لا يجوز لك أن تنادي اسمًا فيه الألف واللام ألبتة إلا أنهم قد قالوا : يا ألله اغفر لنا ... وكأن الاسم - والله أعلم - إله، فلما أدخل فيه الألف واللام حذفوا الألف، وصارت الألف واللام خلفًا منها» (٣٠) .

وقال في الموضع الآخر: «وقال بعضهم: لَهْيَ أبوك فقلبت العين، وجعل اللام ساكنة إذ صارت مكان العين كما كانت العين ساكنة، وتركوا آخر الاسم مفتوحًا كما تركوا آخر (أين) مفتوحًا» (٣١) .

ففي القول الأول الذي ذكر فيه سيبويه أن لفظ الجلالة مشتق من (إله) لا نجد ما يفيد أنه سأل الخليل، وكذلك في القول الثاني الذي ذهب فيه إلى أن اللفظ مشتق من (لاه)، لذلك اعترض أبو علي على أبي إسحاق،

مبينًا بأن سيبويه لم يسأل الخليل عن اشتقاق لفظ الجلالة، وأن ما ذكره أبو إسحاق في معاني القرآن من أن سيبويه سأل الخليل سهو وغلط فدافع ابن خالويه عن أبي إسحاق ، وقال في الهاذور: «لا ننكر أن تكون هذه الحكاية قد ثبتت عن أبي إسحاق الزجاج برواية له عن سيبويه من غير جهة كتابه» (٣٢) عندئذٍ اشتد أبو علي في الردّ على ابن خالويه، وعلى كل من يدعي أن لسيبويه أقوالاً حكيت عنه ولم ترد في كتابه، فقال في نقض الهاذور: «وما علمت أحداً من شيوخنا الذين أدركناهم، منهم أبو إسحاق ، روى حكاية واحدة فضلاً عن حكايةٍ عن الأخفش عن الخليل، ولا عن سيبويه عن الخليل إلا ما ثبت في كتابه، بل رأيت رجلاً روى حكاية واحدة أسندها إلى الأخفش عن الخليل في شيء من العروض ولم يكن هذا الرجل موثوقًا في خبره، ولا مسكونًا إلى حكايته، فأما نحن فلم يقع إلينا من الحكايات عن سيبويه ما لم يثبت في كتابه، إلا حكايتان أو ثلاث: إحداها عن محمد بن يزيد عن أبي زيد عنه . وهي أن محمد ابن السري روى عن محمد بن يزيد أنه قال: لقي أبو زيد سيبويه فقال أبو زيد لسيبويه: إني سمعت من العرب من يقول: قريْتُ وتوضيْت بالياء، فيبدل الياء من الهمزة. فقال: فكيف تقول: أفعل؟ قال: أقرأ، ولا ينبغي أن تقول: أقري .

والحكاية الأخرى أو الحكايتان حكاها أو حكاهما ابن سلام عنه على عادة نَقَلَة الأخبار . هذا مع ما تصفحنا ما أخذه محمد بن السري عن محمد بن يزيد أو عامته، وتصفح ما جمعه أبو عبدالله الفزاري وغيره، ومع صحبة علي بن سليمان وإبراهيم بن السري وغيرهم، فلم نسمع أحداً روى شيئًا من ذلك وإنما عمل هذا الإسنادَ هذا الكذابُ الأفاك» (٣٣) .

فأبو علي ينكر إنكارًا شديدًا أن يكون لسيبويه روايات عن الخليل لم ترد في كتابه، وليس الخلاف بينه وبين الزجاج في أن لسيبويه قولاً أو قولين في هذه المسألة .

٢ – تصحيح الواو في اسم المفعول من الأجوف الواوي

قال شيخنا رحمه الله: «تصحيح عين اسم المفعول من الأجوف الثلاثي اليائي العين لهجة من لهجات العرب وجاء ذلك في قول العباس بن مرداس السلمي:

قد كان قومك يحسبونك سيداً
وإخال أنك سيد معيون

أما تصحيح عين الواوي منه، فقد قال المبرد في المقتضب ١/١٠٢، ١٠٣: (إن النحويين البصريين أجمعين لا يجيزون ذلك)، ثم قال: وأنا أجيزه في الضرورة.

قال النحويون عن رأي المبرد هذا: إنه خالف القياس والسماع، وإنه في الخطأ بمنزلة من ينصب الفاعل ويرفع المفعول به (انظر المنصف ١/١٧٨، ١٨٥ – الخصائص) .

لقد وجدت – والكلام للشيخ رحمه الله – أن سيبويه سبق المبرد بهذا الرأي، فقال في كتابه ٢/٣٦٧: «قالوا مخيوط، ولا يستنكر أن تجيء الواو على الأصل» .

هذا النص قد خفي على المبرد، وعلى غيره ممن زعم أن المبرد انفرد بهذا الرأي، وأنه خالف القياس والسماع، وأنه أخطأ خطأ من ينصب الفاعل ويرفع المفعول به .

ولسيبويه نص آخر، قال في ٢/٣٦٢–٣٦٤: (ولا نعلمهم أتمو في الواوات) ، ولا تعارض بين النصين، فالأول يجيزه قياساً، والثاني يثبت عدم السماع» (٣٤) انتهى كلام الشيخ رحمه الله .

قلت: من الصعب الحكم بأن ما قاله سيبويه خفي على المبرد وعلى غيره من النحويين كأبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني، فالنص الذي أورده الشيخ ليس بقاطع في الدلالة على أن سيبويه يجيز تصحيح الواو في اسم المفعول من الثلاثي المعتل العين بالواو، لأن النص الذي أشار إليه الشيخ بأنه يثبت عدم السماع أكمله سيبويه بما يفيد أن القياس أيضًا لا يجوز فيه فقال: «ولا نعلمهم أتموا في الواوات، لأن الواوات أثقل عليهم من الياءات، ومنها يفرون إلى الياء فكرهوا اجتماعهما مع الضمة» (٣٥) .

فهذا النص يدل على أن سيبويه لم يسمع تصحيح الواوات، ويدل أيضًا على أنه يرى أن القياس أيضًا يؤازر السماع حيث إنه يحكم بثقل الواوات والفرار منها إلى الياء، فلا يسمح القياس إذًا باجتماع الواوات مع الضمة في نحو مقْوُول ومصْوُون .

وأما قوله في الموضع الآخر: «وقد جاء (مفعول) على الأصل ... قالوا: مخيوط، ولا يستنكر أن تجيء الواو على الأصل» (٣٦) . فغاية ما يدل عليه أن سيبويه يجيز أن يرد في لغة العرب تصحيح الواو، كما ورد تصحيح الياء، لأن إعلال الواو والياء وتصحيحهما في هذا الباب يجريان على سَنَن واحد في الأغلب، لذلك لم يستبعد سيبويه أن يسمع عن العرب تصحيح الواو، وقد صحّ توقع سيبويه فقد أثبت الكوفيون خاتم مصْوُوغ حكاه الكسائي (٣٧) ، وأشار ابن جني إلى أن بعضهم حكى: ثوب مصْوُون، ومسك مدووف ورجل معوود ، وفرس مقوود، وقول مقوول (٣٨) فقول سيبويه – على ما يظهر – يتفق مع نظرة أبي علي وتلميذه ابن جني ، فقد روى عنه ابن جني في المنصف: «قال أبو علي: والشاذ في القياس والاستعمال جميعًا ما أجازه أبو العباس من تتميم (مفعول) من ذوات الواو التي هي عين، لأنه أجاز في مقول: مقوول، وفي مصوغ. مصووغ ، قال: لأن ذلك ليس بأثقل من (سُوْرت سوورًا ، وغارت عينه غوورًا) قال أبو علي: فسبيله في هذا سبيل من قال: قام زيدًا، لأنه خارج عن القياس والاستعمال» (٣٩) .

وكرر هذا في موضع آخر (٤٠) ، وقد علّق ابن جني على ذلك بقوله: «وإنما لم يتم (مفعول) من الواو إلا في الحروف الشاذة التي ذكرنا، لأنه اجتمع فيه مع اعتلال فعله أنه من الواو، وأنه تجب ضمة واوه وبعده واو مفعول، فتجتمع واوان وضمة، ومعيون إنما اجتمع فيه ياء وواو وضمة، وإذا كان القياس في معيون الإعلال مع أن الياء دون الواو في الثقل فمفعول من الواو لثقله أحرى ألا يجوز فيه التصحيح» (٤١) .

فالنص لم يخف على المبرد ولا على أبي علي وتلميذه ولكنهم فهموا منه غير الذي فهم منه الشيخ رحمه الله .

٣ – (من) مع (ما) بمعنى (ربما)

قال شيخنا – رحمه الله – : «ذكر سيبويه أن (مِنْ) إذا كفت بـ (ما) تكون بمعنى (ربما) واستشهد بقول أبي حية النميري: ١/٤٧٦–٤٧٧ .

وإنا لما نضرب الكبش ضربة
على رأسه تلقي اللسان من الفم

وقال سيبويه في ١: ٨ «اعلم أنهم مما يحذفون الكلم، وإن كان أصله في الكلام غير ذلك» .

قال السيرافي: «أراد: ربما يحذفون، وهو يستعمل هذه الكلمة كثيرًا في كتابه» .

ثم قال الشيخ: لم يقف أبو حيان على كلام سيبويه، فقال في الارتشاف: وزعم السيرافي والأعلم وابن طاهر، وابن خروف أن (من) إذا كانت بعدها (ما) كانت بمعنى (ربما) وزعموا أن سيبويه يشير إلى هذا المعنى في كلامه، وأنكر الأستاذ أبو علي وأصحابه ذلك وردوه» .

تبع ابن هشام أبا حيان في موضعين من المغني ٢/٦، ١٦ ونسب ابن الشجري في أماليه ٢:٣٤٤ قول سيبويه إلى المبرد. نعم إن المبرد ذكر ذلك في المقتضب ٤/٤٨٥ ولكنه مسبوق بما قاله سيبويه» (٤٢) انتهى كلام الشيخ رحمه الله .

قلت : كلام سيبويه ليس صريحًا في أن (مما) تأتي بمعنى (ربما) بل يحتمل معنًى آخر، ذلك أنه قال: «وتقول : إني مما أن أفعل ذاك، كأنه قال: إني من الأمر أو من الشأن أن أفعل ذاك، فوقعت (ما) هذا الموقع، كما تقول العرب بئسما له، يريدون: بئس الشيء له... وإن شئت قلت: إني مما أفعلُ: فتكون (ما) مع (من) بمنزلة كلمة واحدة نحو (ربما). قال أبو حية النميري :

وإنا لما نضرب الكبش ضربة
على رأسه تلقي اللسان من الفم» (٤٣)

ويبدو أن الشيخ رحمه الله متأثر بالبغدادي فيما ذهب إليه حيث قال في الخزانة بعد أن أورد قول سيبويه السابق: «قال الأعلم: الشاهد في قوله (لما) ومعناه: لربما، وهي (مِنْ) زيدت إليها (ما) وجُعلت معها على معنى (ربما) فركبت تركيبها » انتهى .

ثم قال: «وكأنّ أبا حيان لم يقف على ما قدمناه قال في الارتشاف: وزعم السيرافي والأعلم وابن طاهر وابن خروف أن (من) إذا كان بعدها (ما) كانت بمعنى (ربما)، وزعموا أن سيبويه يشير إلى

هذا المعنى في كلامه، وأنكر الأستاذ أبو علي وأصحابه ذلك وردوه، وتأولوا ما زعموه من ذلك .

هذا كلامه، وتبعه ابن هشام في موضعين من المغني أحدهما في (من) قال عند معانيها : العاشر مرادفة (ربما) وذلك إذا اتصلت بـ (ما) كقوله : وإنا لما نضرب الكبش.. البيت قاله السيرافي وابن خروف وابن طاهر والأعلم، وخرجوا عليه قول سيبويه : [إنهم مما يحذفون كذا) والظاهر أن (مِنْ) فيهما ابتدائية ، و(ما) مصدرية، وأنهم جعلوا كأنهم خلقوا من الضرب والحذف، مثل ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ [سورة النساء/٣٧] انتهى .

وثانيهما في (ما) الكافة، قال: إنها تتصل بأحرف فتكفها من عمل الجر. الرابع (من) كقول أبي حية :

وإنا لما نضرب الكبش ... البيت

قاله ابن الشجري، والظاهر أن (ما) مصدرية، وأن المعنى مثله في (خلق الإنسان من عجل) ، وقوله:

وضنت علينا والضنين من البخل

فجعل الإنسان والبخيل مخلوقين من العجل والبخل مبالغة. انتهى

وسياق الكلام منهما ظاهر في أن المعنى الأول لم يقل به سيبويه، وإنما هو شيء استنبطه خدمة كتابه من كلامه وليس كذلك .

وتخريج ابن هشام فاسد، وذلك أن (فعل) الصلة في المثالين الأولين مسند إلى ضمير المحدث عنه، فيلزم عند السبك إضافة المصدر إلى ذلك الضمير، فيؤول الأمر إلى جعلهم كأنهم خلقوا من ضربهم ومن حذفهم، وذلك غير متصور ألبتة، ولا يلزم هذا في الآية والبيت الأخير»(٤٤) انتهى كلام البغدادي رحمه الله، وهو يعطي فكرة عن اختلاف النحويين في تفسير قول سيبويه [فتكون (ما) مع (من) بمنزلة كلمة واحدة نحو (ربما)] هل يراد به أن (مما) تكون بمعنى (ربما) أو أنها باقية على معناها الأصلي غير أنها كفت عن العمل وهيئت للدخول على الجملة الفعلية بـ (ما) الكافة كما كُفت (رب) بـ (ما) الكافة أو أنها (من) الجارة و(ما) المصدرية ؟

فالبغدادي يذهب إلى أن سيبويه أراد أن معنى قوله (فتكون مما ...نحو ربما) هو: فتكون (مما) بمعنى (ربما) وهو في ذلك متأثر بما أورده أبو علي الفارسي في البغداديات عن أبي العباس المبرد أنه قال : «تقول: إني مما أفعلُ، على معنى : ربما أفعلُ، وأنشد البيت [يقصد: وإنا لما نضربُ الكبش] وقوله: إني مما أفعل على معنى: ربما أفعل، إنْ أراد أن (ما) كافة لـ (من) كما أنها كافة لـ (رب) فهو كما قال سيبويه وإن أراد أنه للتقليل كما أن (ربما) للتقليل كان ذلك مسوغًا إذا ثبت مسموعًا، وبَعدَ ذلك في البيت فإنه ينبغي أن يكون غير مقلل لضربه الكبش على رأسه، ويقول [أي أبو العباس] إنه قد يجوز أن يتغير معنى الحرف لانضمام (ما) إليه، كما تغير معنى (لو) لانضمام (لا) إليه » (٤٥) .

وعلّق البغدادي على كلام المبرد، فقال: وإنما قال هذا لأن (رب) و(ربما) عنده لا تفيد إلا القلة (٤٦) .

فالمبرد في هذه الرواية لا يجزم أن تكون (مما) بمعنى (ربما) فهو يجيز أن تكون باقية على معناها الأصلي غير أنها مكفوفة عن العمل، مع أنه في المقتضب صرح بأنها بمعنى (ربما) (٤٧) .

والذي يظهر لي من تأمل كلام سيبويه أن قولنا: إني لما أن أفعل، وقولنا: إني لما أفعلُ قولان بمعنى واحد، غير أن (ما) في المثال الأول اسم تام بمعنى الأمر أو الشأن لأن سيبويه فسّره بقوله : (من الأمر أو من الشأن أن أفعل ذاك) وفي المثال الثاني كافة، ولكن معنى القولين واحد، بدليل أنه قال: (وإن شئت قلت: إني مما أفعلُ) يعني: وإن شئت أن تعبر عن المعنى الأول نفسه أمكنك أن تقول إني لما أفعلُ، بدون (أنْ) وبرفع الفعل، ويبقى المعنى على ما كان عليه، كما أن (رب) تبقى على معناها الأصلي بعد دخول (ما) عليها. وهذا الذي أقوله هو ما يؤخذ من كلام أبي علي الفارسي في حديثه عن (ما) الكافة (٤٨) .

حيث قال عن (ما) الكافة :

«فأما دخولها على الحرف للكف فعلى ضربين: أحدهما أن تدخل عليه فتمنعه العمل الذي كان له قبل دخولها وتدخل على ما كان تدخل عليه قبل الكف غير عامل نحو ﴿إنما اللهُ إله واحد﴾ [سورة النساء/١٧١] ...

والآخر أن تدخل على أحرف فتكفه عن عمله وتدخل على ما لم تكن تدخل عليه قبل الكف عن عمله، وذلك نحو: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [سورة فاطر/٢٨] ... ومنه ﴿ربما يود الذين كفروا﴾ [سورة الحجر/٢] وقوله:

وإنا لمما نضرب الكبش ضربة » .

ويتبين بهذا أن رَدّ أبي علي الشلوبين الذي ذكره أبوحيان في الارتشاف على السيرافي والأعلم وغيرهما ليس لأنه خفي عليه قول سيبويه أن (مما) نحو (ربما) ولم يخف عليه أيضًا استعمال سيبويه هذا الأسلوب في قوله (إنهم مما يحذفون) وإنما ردهم متوجه إلى تفسيرهم لكلام سيبويه فالشلوبين وأصحابه يرون أن كلام سيبويه لا يدل على أن (مما) بمعنى (ربما)، والسيرافي ومن تبعه يرون أن سيبويه أراد بقوله ذاك أن (مما) بمعنى (ربما) فالخلاف إذًا في تفسير قول سيبويه وليس في ورود هذه المسألة في كتاب سيبويه أو عدم ورودها .

ويتحصل مما ذكرت ثلاثة مذاهب في (ما) في قول الشاعر: وإنا لمما نضرب الكبش ضربة:

الأول (مما) : بمعنى (ربما) وهي كافة ومكفوفة .

الثاني (مما) : على معناها الأصلي أي أن (من) ابتدائية دخلت عليها (ما) الكافة .

الثالث (مما) : (من) الجارة الابتدائية ومعها (ما) المصدرية .

أما ردّ البغدادي على ابن هشام في أن القول بمصدرية (ما) يفسد المعنى ففيه نظر، لأنه وارد على تفسير سيبويه للمثال الأول أعني: إني لمما أن أفعل، و(ما) في هذا المثال في قول سيبويه تامّة بمعنى الأمر أو الشأن، والمصدر المؤول من (أن أفعل) عطف بيان لـ (ما) أو بدل، فالمعنى أيضًا يؤول إلى : إني من الأمر الذي هو فِعْلي، وهذا أيضًا غير متصور على ما ذهب إليه البغدادي، لذلك يجب أن يكون التقدير: إني من الأمر الذي هو فعل كذا، وفي البيت الشاهد يكون التقدير على ما ذكره ابن هشام: إنا من ضرب الرؤوس .

وبهذا نأتي إلى نهاية المسائل التي أثارها شيخنا رحمه الله في مقدمة كتابه القيم، والله أسأل أن يجزيه عنا خير الجزاء .

الهوامش

١ – **فهارس كتاب سيبويه**، ١٨.
٢ – المصدر السابق، ٢٠.
٣ – المصدر السابق، ١٨
٤ – **الكتاب** ٤ / ٣٠٧.
٥ – المصدر السابق ٣ / ٤٣١.
٦ – ج١ / ٢١، ٢٢، وينظر **سر صناعة الإعراب** ١ / ١٠٧، و**المنصف** ١/ ٩٩.
٧ – **ارتشاف الضرب** ١ / ١٩١.
٨ – **الكتاب** ٣ / ٤٤٦.
٩ – **شرح الشافية** ١/ ٢٦٣– ٢٦٤.
١٠– **فهارس كتاب سيبويه**، ١٨.
١١– **الكتاب** ٢ / ١٩٨.
١٢– المصدر السابق ٣/ ٢٧٠ – ٢٧٨.
١٣–**فهارس كتاب سيبويه**، ١٨.
١٤– **الكتاب** ١/ ٤١٦.
١٥– السابق ١/٤١١.
١٦– **فهارس كتاب سيبويه** / ١٩.
١٧– **الكتاب** ٣/ ٢١٥ – ٢١٦.
١٨– السابق ٣/ ٤٢٠.
١٩– السابق ج٣/ ٢٦٢.
٢٠– السابق ج٢/ ٤٤١. وينظر **المنصف** ١/١٥٧ – ١٥٨.
٢١– الكتاب ٤/ ٢٤٠.
٢٢– المصدر السابق ٢/ ٤٣٥ – ٤٣٦. وينظر **المنصف** ١/ ١٥٧– ١٥٩.

٢٣- **ارتشاف الضرب** ١/ ٤٢٧ - ٤٢٨.

٢٤- **شرح الكافية** ١/ ٦٠.

٢٥- **الكتاب** ٢/ ١١٦.

٢٦- المصدر السابق ٢/ ١١٦ - ١١٧.

٢٧-**فهارس كتاب سيبويه** ١٤ - ١٥.

٢٨- **الورقة** ٢.

٢٩- **معاني القرآن** ٥/ ١٥٢.

٣٠- **الكتاب** ٢/ ١٩٥.

٣١- المصدر السابق ٣/ ٤٩٨.

٣٢- **الخزانة** ١٠/ ٣٥٧.

٣٣- المصدر السابق ١٠/ ٣٥٧- ٣٥٨.

٣٤- **فهارس كتاب سيبويه** / ١٣ - ١٤.

٣٥- **الكتاب** ٤/ ٣٤٩.

٣٦- المصدر السابق ٣٥٥.

٣٧- **شرح الشافية** ٣/ ١٤٩ - ١٥٠.

٣٨- **المنصف** ١/ ٢٨٥.

٣٩- المصدر السابق ١/ ٢٧٨.

٤٠- السابق ١/ ٢٨٥.

٤١- السابق ١/ ٢٨٦.

٤٢- **فهارس كتاب سيبويه** ١٥ - ١٦.

٤٣- **انكتاب** ٣/ ١٥٦.

٤٤- **الخزانة** ١٠/ ٢١٥- ٢١٧.

٤٥- **المسائل البغداديات**: ٢٩٣.

٤٦- **الخزانة** ١٠/ ٢١٥.

٤٧- **المقتضب** ٤/ ١٧٤.

٤٨- ينظر **المسائل البغداديات** ٢٨٦- ٢٨٧.

المراجع

١ - **ارتشاف الضرب من لسان العرب** لأبي حيان الأندلسي - تحقيق مصطفى النماس .- ط١ .- ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

٢ - **التعليق على كتاب سيبويه** لأبي علي الفارسي - تحقيق عوض حمد القوزي .- ط١ .- ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٣ - **خزانة الأدب** للبغدادي - تحقيق محمد عبدالسلام هارون .

٤ - **سر صناعة الإعراب** لابن جني - تحقيق حسن هنداوي .- ط١ .- دمشق: دار القلم، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٢م .

٥ - **سفر السعادة** للسخاوي - تحقيق محمد أحمد الدالي - مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

٦ - **شرح الكافية** للرضي .- بيروت: دار الكتب العلمية .

٧ - **فهارس كتاب سيبويه** - محمد عبدالخالق عضيمة .- القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

٨ - كتاب سيبويه - تحقيق محمد عبدالسلام هارون - القاهرة : مكتبة الخانجي ؛ الرياض : ودار الرفاعي .

٩ - **المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات** لأبي علي الفارسي - تحقيق صلاح السنكاوي.- بغداد: وزارة الأوقاف .

١٠ - **معاني القرآن وإعرابه** للزجاج - تحقيق عبدالجليل عبده شلبي.- بيروت: عالم الكتب .

١١ - **المقتضب** للمبرد - تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة .- بيروت: عالم الكتب .

١٢ - **المنصف** لابن جني - تحقيق إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين - إحياء التراث .- ط١ .- القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٣هـ/ ١٩٥٤م .

جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض

لابن القف الكركي تحقيق سامي الحمارنة

محمد أحمد القضاة

الجامعة الأردنية - عمان - الأردن

الكركي ، أبو الفرج ابن القف / جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض ؛ تحقيق سامي خلف الحمارنة .- عمان : الجامعة الأردنية ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ٧٠٠ ص .

صدر الكتاب عن عمادة البحث العلمي في الجامعة الأردنية مع نهاية عام ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ويقع في (٧٠٠) صفحة من الحجم المتوسط. ويُعدّ من الكتب القيمة التي تتناول جزءًا مهماً من تراثنا الطبي العربي للطبيب العربي الجراح أمين الدولة أبي الفرج بن موفق الدين يعقوب بن إسحق بن القف الكركي الذي ولد في مدينة الكرك بجنوب الأردن في ١٣ ذي القعدة عام ٦٣٠هـ / ٢٢ آب ١٢٢٣م، وعمل بجدارة وتفانٍ في قلعة عجلون الإسلامية عقداً من الزمن، وأبدع في ممارسة المهنة والتعليم بدمشق حتى وفاته في صيف ٦٨٥هـ/١٢٨٦م .

وقد ألّف ابن القف الكركي "جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض" في عام ٦٧٤هـ/١٢٧٥م، إذ واكب فترة تأليف الكتاب نهضة عربية طبيّة، واهتمام ملحوظ بالرعاية الصحية العامة، بما في ذلك الوقاية من الأمراض والأوبئة، وما تبع ذلك من عناية بالأسرة والبيئة ؛ ففي زمن رسالة سيدنا محمد ﷺ وعصري الخلفاء الراشدين والأمويين ظهر رواد في الطب الشعبي على مستوى بدائي، تتمثل في خبرات ناجحة بأمور حفظ الصحة، ترفد ذلك حِكَم نافعة واقتباسات مُجرّبة تهدف إلى سلامة الإنسان ورفاهيته .

كان ابن القف الكركي حكيمًا فاضلاً بارعًا في الصناعة الطبيّة، ظهرت نجابته ونبوغه ورجاحة عقله، منذ صغره ، وكان قليل الكلام كثير الصمت والتأمل، عميق التفكير، وقد بدأ دراسة الطب في مدينة صَرْخد (صَلْخد)، وكان ذلك في مرحلة مبكرة من حياته، أي وهو في مطلع الثانية عشرة من عمره ، فيكون بذلك من أول الأطباء السبّاقين المعروفين للانخراط في هذه المهنة الشريفة في هذا السن . وانتقل بعد ذلك إلى مدينة دمشق لمتابعة دراسته في الطب والفلسفة والعلوم الحكيمة، تحت إشراف شيوخ وأطباء أفاضل حتى أتقن المهنة أيما إتقان، بعدها خدم في قلعة عجلون الإسلامية عقدًا من الزمن في ممارسة صناعة الطب والجراحة، ثم عاد إلى دمشق يخدم ويمارس المهنة والتأليف حتى وفاته في جمادى الأولى عام ٦٨٥هـ/(مطلع تموز عام ١٢٨٦م) .

رثاه سيف الدين المنجم بقصيدة توضح مكانته المرموقة بين أطباء عصره، ودلّت على أنه مثال العالم الموفق والطبيب الفاضل ذي الصيت الحسن، الذي سبى نُهى تلاميذه وسامعيه بالحكمة والمعرفة، وعمّر قلوبهم بالحب والإخلاص، حتى قيل عنه أنه فريد زمانه وعليم عصره، كما تركت عظيم الأثر في نفوس من رعاهم بمحبته، فكان يلقي على مسامعهم أجمل الحكم وأبلغ المواعظ، وكانت أعماله هذه موضع الإعجاب والتقدير لدى من عرفوه وعاصروه .

واشتمل الكتاب على توطئة، لأثرين خالدين لابن القف الكركي : العمدة وجامعة الغرض، ويقع في ستين فصلاً، ويضع محتوياته في تسلسل منطقي، وبأسلوب جميل، وعبارات منسقة وعلم غزير، وفي أصالة وعمق واتساع أفق في هذا الموضوع، فقد سبق المؤلف زمنه بقرون من نواحٍ

طبيـة عـديدة، وفي العـمل الجـاد والرزين. وها نحن نستعرض هذه الفصول فصلاً فصلاً :

الفصل الأول : في كيفيّة تكوين الجنين وتطوره إلى أن يخرج من ظلمة الرحم إلى نور الحياة، ويتحدث عن بعض التأويلات المنطقية في علم الأجنة والآراء السائدة المتداولة من لدن العلماء القدماء والمحدثين حول نشوئه والحكمة في صيرورته، ويتحدث كذلك في أمر مشاكلة الجنين لوالديه، ليس في عـالم الإنسان؛ بل في عـالمي الحيوان والنبات. ويعطي في هذا الفصل كثيراً من الآراء في أمر حدوث التوأم عند الحبل، إضافة إلى هيئة قعود الجنين في رحم الأم وكيفية المحافظة على سلامة الجنين .

الفصل الثاني : في الأسنان، والمقصود بذلك الأعمار أو مقدار العمر لغوياً، وهو عند الأطباء كما يقول الكركي، زمان مقدر باعتبار نسبة الرطوبات والحرارات الغريزية في البدن، ومـا يتـعين على ذلك من الأمزجـة والأخلاط، حسب النظريات المقررة في الطب الإغريقي، ويحمل القول في الأسنان (أو سني العمر) في أربعة أدوار هي سن النماء والشباب، والكهولة والشيخوخة .

الفصل الثالث : يعرف به الصحة «بأنها حالة للبدن الإنساني بها تكون أفعاله سليمة بالذات على ما ينبغي أو دون ذلك، في تدبير خاص بها يكون حفظه»، وهو تعديل الأسباب المشتركة العامة الستة الضرورية وهي : الهواء المحيط بالبدن، والحركة والسكون، ومـا يؤكل ويشـرب، والنوم واليـقظة، والاستفراغ والاحتقان، والأحداث النفسانية .

الفصل الرابع إلى السادس : في حفظ صحة الأم وطفلها والرعاية بهما في أكل الأم وشربها ورياضتها حتى وقت الولادة بحيث يتحقق طبيعياً وبيسرة، ويذكر أن التجربة دلّت بأن أوفق الألبان لغذاء الطفل هو لبن أمه لملاءمته ومشابهته له، فيغذيه ويدفع عنه الأوجاع ويسكن اضطرابه .

الفصل السابع إلى السابع عشر : في حفظ صحة الصبي من بعد الفطام، في المشي والكلام واللعب مع الأفراد، والرياضة والتعليم في المدارس وتدرجه حتى نهاية سن الصبا، وطرق التغذية، وصنعه من شرب الشراب (الأنبذة)، ويوصي حين يصبح شاباً بعدم الإفراط في الشهوات .

الفصل الثامن عشر إلى الحادي والعشرين : يتحدث فيها في أمر حفظ الصحة والغذاء الذي يدخل البدن، حيث يجب مراعاة وقت تناوله ومدته ومقداره وكيفية تنوعه، وعدد المرات، ويوصي المؤلف بتناول الماء العذب لإطفاء العطش .

الفصل الثاني والعشرون إلى الثلاثين : في حفظ الصحة بالنوم واليقظة، وكذلك في الرياضة أو الحركة عامة هي : الخروج بالقوة إلى الفعل دفعًا، أو بالتدرج، ويقول ويتبع الرياضة الحمام للتحليل ويمتدح أنواع الحمام وصفته، إضافة إلى حديثه عن الديك وأنواعه ، واستعمال الأدوية المسهلة والمقيئة ويسترسل في الحديث حول السمنة .

الفصل الحادي والثلاثون إلى التاسع والثلاثين : وفيها يتحدث عن اللحوم وأهميتها في التغذية، وقدرة تحويل الجيدة منها إلى دم حسب اقتضاء النوع : إن كان ذلك حيواناً أليفاً؛ كالضأن أو الحمل أو العجل أو الفرس أو الغزال، ثم يتطرق لكيفية اكتساب أصناف اللحوم من الصنعة والتفنن في طبخها وأكلها، ويتعرض إلى ذكر أمر التغذية من الأسماك الطرية منها والمملحة، كما تطرق إلى موضوع البيض لا سيما صفاره، الذي يصفه بأنه يقوم مقام اللحوم في التغذية الجيدة، إضافة إلى اللبن والعسل .

الفصل الأربعون إلى الخمسين : وفيها ذكر أنواع الحبوب وأهميتها الغذائية، كالآرز والباقلي والحمص والحنطة والشعير والعدس واللوبيا وغيرها، وصنعتها كخبز الخشكار والسميد والكنافة والسويق والنشاء والنخالة، يتبع ذلك ذكر أنواع البزور، ويمتدح تناول الفاكهة والثمار بأنواعها لأهميتها في التغذية لا سيما الناضجة النابتة في أرض نقية من الأوساخ وأقذار المدن . ويذكر أنواع

الشراب كنبيذ التمر والعسل والرمان وصنوف الفقاع المعمولة من السذاب أو الشعير . ومن الربوب يذكر رُب التفاح والسفرجل والريباس والورود .

الفصل الواحد والخمسون إلى الفصل الأخير الستين : يختتم المؤلف كتابه بذكر أنواع الرياحين وأوصافها ومنافعها، كالآس والبنفسج والزنبق والنسرين والياسمين، يتبع ذلك وصف أنواع الطيب، كالجوزبوا والزعفران والسنبل والعنبر والكافور والمسك ... ثم يتطرق إلى الوصفات المستعملة في صحة وحفظ الأسنان ونظافتها وشد اللثة وتقويتها واستصلاحها . ويخصص فصلاً للملابس النافعة للناس في التسخين أو التبريد، وفي الألوان وما يصنع من الكتان أو القطن أو الحرير أو الصوف. وقد اختتم كتابه بذكر أمور مأخوذة من أصول الفراسة لا سيما وصف الوجه والعين والمحيا وغيرها من الأعضاء، والطرق التي استخدمها وفسرها العرب زمن الجاهلية وفي العصور العربية الإسلامية حتى عصر المؤلف.

وبعد ؛ فإن هذا الكتاب يعد تلخيصًا لتطور مفهوم حفظ الصحة بكل جوانبها، فهو سابق لأوانه فاق سواه من التصانيف في هذا الباب، وجاء شاملاً لأسباب وأهداف صحة المجتمع منذ أن يكون الإنسان جنينًا حتى ولادته وتدرجه إلى الشيخوخة متضمنًا جملة من الوصايا الصحية والعلاجية من غذاء ودواء ورياضة واستجمام مع الاهتمام بسلامة البيئة والرعاية الطبيعية ... ويبقى هذا الكتاب فريدًا في بابه، أصيلاً بما يحوي من نظريات فاحصة وأفكار طبية سامية يستحق عليهما المؤلف مزيدًا من الإنصاف من لدن المهتمين ليدرجوا اسمه في عداد الخالدين بين علماء العرب المسلمين ، ليس فقط في علم الجراحة ؛ بل وفي حفظ الصحة والوقاية من الأمراض ، ويستحق المحقق مزيدًا من الثناء والتقدير والعرفان على هذا الجهد القيم الذي كان له الأثر الأكبر في إبراز دور المسلمين والعرب الأوائل في ميدان الطب والعلوم المختلفة .

الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى لمي العيسى

العيسى، مي بنت عبدالعزيز/ الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى.- الرياض : دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٧هـ، ٣٨٧ص.

طبع هذا الكتاب على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض، وهو يتكون من أربعة فصول وخاتمة ويقع في ٣٨٧ص، ومع أن عنوانه يغطي فترة زمنية لا تتجاوز ٧٧ عاماً، إلا أن الدراسة للحركة العلمية في نجد أثبتت أن لها جذوراً ممتدة لما قبل الدعوة، بفترة زمنية بعيدة، كما أن لها آثاراً ظلت ممتدة بتواصل إلى قيام الدولة السعودية الثانية؛ لذا فإن الدراسة للحركة العلمية اقتضت أن تتناول الفترة السابقة واللاحقة لكي تكون شاملة ووافية بالغرض، فبدأت بالقرن العاشر الهجري حتى عام ١٢٤٠هـ، أي بداية استقرار الدولة السعودية الثانية تقريباً. مقسماً تلك الفترة إلى مجموعة متتالية من الحقب الزمنية .

تناولت الأولى الحركة العلمية في القرن العاشر، وخصصت الثانية للقرن الحادي عشر، والثالثة للنصف الأول من القرن الثاني عشر، والرابعة لعصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقيام الدولة السعودية الأولى، بقيادة الأمير محمد بن سعود، وحتى وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عام ١٢٠٦هـ، والحقبة الخامسة لما بعد وفاة الشيخ حتى عام ١٢٤٠هـ.

وأعطت المؤلفة لمحة جغرافية عن موقع نجد وحدودها، وتقسيماتها الإقليمية، وتحديد كل إقليم وأشهر بلدانه، وأوديته، وسماته المميزة مناخياً، كما أعطت لمحة تاريخية عن نجد قبل ظهور الدعوة، والكيانات السياسية التي كانت قائمة، والتفكك السياسي الذي اعترى المنطقة بصفة عامة، حاضرة وبادية، وأنها لوضعها الجغرافي ظلت بمنأى عن النفوذ العثماني، الذي امتد إلى كل من الحجاز واليمن والأحساء، وأن الغزوات التي كانت تسود معظم أجزاء المنطقة، كانت في أغلبها للبحث عن غنائم.

ومع تردي الأوضاع السياسية في المنطقة، حاضرة وبادية، والعداء المستمر بينها، إلا أن الحركة العلمية كانت في نمو مطرد منذ القرن العاشر الهجري حتى ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وتمثل ذلك في وجود عدد من العلماء والقضاة داخل نجد وخارجها في المراكز العلمية المشهورة، وبعضهم ممن رحلوا أو هاجروا إلى تلك المراكز خارج نجد فتصدروا للتدريس في حلقات العلم بها، كالمدينة المنورة، ودمشق، والبصرة، والقاهرة.

وقد استخدمت المؤلفة منهج البحث الإحصائي في الدراسة، وهو منهج معروف في أساليب البحث، ويعطي نتائج دقيقة بنسبة كبيرة، بعكس المنهج الوصفي المتبع غالبًا في الكتابات التاريخية، والمعتمد فيه على الاستنتاجات للوصول إلى النتائج وغالبًا ما يتم اختيار عينة عشوائية لإجراء الدراسة عليها في المنهج الإحصائي، لكن الدراسة في هذا الكتاب أجرت حصراً للعلماء في كل حقبة من الحقب، واختارت العلماء الذين تم الترجمة لهم، وأجرت عليهم الدراسة، وأشارت إلى بعض من لم يتم الترجمة لهم في معظم مراحل التحليل، لإيفاء الحركة العلمية حقها من الدراسة، وتم إخضاع المجموعة التي تم الترجمة لها في كل حقبة للعديد من التحليلات، من حيث مكان المولد، والدراسة والهجرة في طلب المزيد منها، واتجاه الرحلة إلى داخل نجد، أو خارجها والمراكز العلمية التي كانت تجذب الطلاب للدراسة فيها، في الداخل أو الخارج، والعلوم التي كانت تدرس، وتلك

التي كانت شائعة للتأليف فيها، من لدن علماء نجد، ودرجة إبداعهم في تلك العلوم.

وقد أعطى التحليل الإحصائي بعض النتائج التي تعد طريفة في بابها؛ منها أن تزايد نسبة الرحلات في طلب العلم داخل نجد، تعطي دلالة على نمو الحركة العلمية، وزيادة عدد العلماء، وبالتالي زيادة المراكز العلمية في نجد، وتراجعت بذلك نسبة الرحلات إلى خارج نجد. كما حدث ذلك خلال القرن الحادي عشر الهجري. وأن نمو بعض البلدان، ورخاءها المعيشي، أهّلها لأن تكون من بين المراكز العلمية. فمثلاً: كانت بلدان أشيقر، والعيينة، ومقرن (الرياض فيما بعد) من أشهر المراكز العلمية خلال القرن العاشر، فإذا بالدرعية تحتل مكانة كمركز لاستقطاب العلماء للعمل بها في القرن الحادي عشر. ثم تحتل الصدارة في النصف الثاني من القرن الثالث عشر. لكونها أصبحت مصدر الدعوة ومقر الدولة. وازدهرت فيها الحركة العلمية إلى أبعد مدى عقب ذلك.

ويمثل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، مرحلة بارزة في تاريخ الحياة العلمية في نجد، وذلك لما تبعها من تغييرات في أحوال المنطقة سياسيًا، وعلميًا، واجتماعيًا، أدت بالتالي إلى ازدهار الحياة العلمية في نجد، بالمقارنة إلى الفترة السابقة - حيث تشير نتائج بعض الإحصاءات إلى أن نجدًا خلال هذه الفترة (١١٥٠ - ١٢٠٦هـ) كانت جاذبة لهجرة العلماء لبعض بلدانها، وأن الهجرة الداخلية كانت هي السمة البارزة لعلماء هذه الفترة، وأن الدعوة الإصلاحية كان لها أثرها الكبير على الهجرة، أو التنقل بين البلدان للكثير من العلماء، إما بغرض العمل على نشر الدعوة، أو تولى منصب القضاء، أو الإفتاء، أو الإمارة، أو التدريس والإرشاد، أو أن تكون الهجرة إلى الدرعية، بغرض الدراسة، أو المزيد من طلب العلم، أو لتأييد الدعوة. أما الهجرة خارج نجد فقد اقتصرت على معارضي الدعوة .

وفي إحصاء عن جهود العلماء في التصنيف، احتل الشيخ محمد بن عبد الوهاب المرتبة الأولى في كثرة المصنفات، إذ مثلت مصنفاته نسبة ٨١٪ من مجموع ما تم تصنيفه خلال هذه الفترة (١١٥٠ - ١٢٠٦هـ) وهذا يتناسب مع دوره كداعية، ومصلح ديني، ورأس العلماء في الدولة السعودية الأولى، التي استطاعت توحيد نجد تحت حكمها، وأخذ نفوذها يمتد إلى المناطق المجاورة قبل وفاة الشيخ محمد، وغلب على التصنيف كونه في العلوم الشرعية، وإن احتلت علوم العقيدة المرتبة الأولى، لأنها الأساس الذي قامت عليه الدعوة.

كما شهدت الفترة من عام ١٢٠٧هـ - ١٢٤٠هـ، استمرارًا للنشاط العلمي، بالرغم من الخمود في المجال السياسي، نتيجة لحروب الدرعية، مما يؤكد على قناعة أهل نجد، بل إيمانهم الراسخ بالدعوة الإصلاحية، وأنها غيرت الكثير من سلوكياتهم الاجتماعية، فأصبحوا لا يطيقون الحياة إلا في ظلها، وظل الدولة التي قامت لمعاضدتها، ولذا؛ فإن الحركة العلمية ظلت متواصلة في ازدهارها.

وبصفة عامة فقد دلت الدراسة على نمو الحياة العلمية في نجد بشكل مطرد نسبيًا، خلال القرنين السابقين على ظهور الدعوة الإصلاحية، وكان من أبرز مظاهر هذا النمو الزيادة المطردة في عدد العلماء من حقبة لأخرى، واتساع الرقعة الجغرافية للمراكز العلمية البارزة في نجد، وتوزعها على الأقاليم المختلفة في نجد، وكذا بروز عدد من العلماء النجديين في بعض البلدان داخل الجزيرة العربية، وخارجها.

كما كان من عوامل ازدهار التعليم في ظل الدولة السعودية الأولى، قيام الدولة بالإنفاق على التعليم، وتشجيعها للعلماء، وطلبة العلم، وذلك بشكل منظم ودائم من بيت مال الدرعية، وكذلك قيامها بإرسال العلماء، والدعاة، والمعلمين إلى البلدان، والمناطق التي خضعت لحكمها، بغرض القضاء، وتعليم الناس أمور دينهم على الوجه الصحيح، والجلوس إلى طلبة العلم. وعقد حلقات التدريس بشكل منظم، مما أوجد مناخًا علميًا، انتشرت فيه المراكز العلمية، التي توافد الطلاب إليها من كل صوب للدراسة .

وعمومًا؛ فإن الكتاب يعدّ إضافة جديدة مميزة، من حيث تناوله التأريخ للحياة العلمية في نجد، خلال فترة مهمة من تاريخ الدولة السعودية، ووفق في إعطاء صورة دقيقة وواضحة عن مظاهر تلك الحياة العلمية .

ذم الكلام

لعبدالله بن محمد الأنصاري الهروي
تحقيق سميح دغيم

عبدالمحسن بن
عبدالعزيز العسكر
الرياض

الأنصاري الهروي ، أبو إسماعيل عبدالله بن محمد / ذم الكلام ؛ تحقيق سميح دغيم .- بيروت : دار الفكر اللبناني ، ١٩٩٤م .

تزخر خزانات العالم العامة والخاصة بما يقرب من خمسة ملايين مخطوط عربي إسلامي (١) . ولم يزل العلماء والباحثون في مختلف الأقطار يتسابقون في إخراج هذا الإرث الضخم ، ولذا ؛ فإننا نعيش الآن مدة علمية بهيجة، إذ انتشرت كتب أهل العلم وأصبحت ميسّرة لكل من رامها.

غير أن ما يحزن المرء وينغّص عليه بهجته وسروره بانتشار كتب أهل العلم ؛ أن أناسًا تسوّروا المحراب وألقوا بأنفسهم في ميدان تحقيق الكتب ، يدفعهم حب المال أو الرغبة في الشهرة أو كلاهما معًا . وهم ليسوا من أهل هذه الصناعة ، بل لو قال قائل : إنهم ليسوا من أهل العلم ألبتة لم يكن قد أتى منكرًا من القول وزورًا ، لما يرى من العجائب والغرائب في أعمالهم .

وثمة محققون آخرون أتحفونا بعجائب وغرائب وهم قوم – وأسفًا – محسوبون على العلم والثقافة ، غير أنهم تجاوزوا التخصص واعتدوا فيه ، فترى مَنْ يحقق جزءًا في الحديث وتخصصه الرئيس الاقتصاد وعلوم المال، وآخر متخصص في التاريخ ثم هو يحقق كتابًا في اللغة وهكذا ... ولو ثقّف هؤلاء أنفسهم حين ارتقوا هذا المرتقى الصعب، وشاركوا في العلوم «بعصبامية» ، وأخذوا بوسائل التحقيق وأسبابه ؛ لارتفع عنهم اللوم ولسلموا من المخالفات ، ولكنهم جد مقصّرون فيما قصدوا له وتطلعوا إليه .

وكم كانت عظيمة جنايةُ هؤلاء "المعتدين" وأولئك "المتسورين" حين بدّلوا مواد المؤلفين وحرّفوا نصوصهم وشوهوها بتعليقاتهم المراض . ناهيك عن شجاعتهم البالغة في تخطئة العلماء والاعتراض عليهم وتوهيمهم إياهم في عزوهم وإحالاتهم وتوهية اختياراتهم دونما حجة مرضية أو دليل معتبر (٢) .

ولقد كان لهؤلاء جميعًا نصيب أكبر في التضييق على الباحثين «الأكاديميين» ، إذ لا يحق لباحث أن يتقدم لنيل درجة علمية بتحقيق كتاب قذفت به المطابع مهما كان محققه .

وكنت أثناء قراءاتي في تلك الكتب التي يكتب على طرتها «تحقيق وتعليق وتخريج وضبط ... إلخ» كنت أصطدم بطوام ومصائب في الهوامش ، وربما اصطدمت بها أيضًا في النص نفسه ، بسبب اعتداء المحقق والمعلق و ...

ومع أني ربما ضحكت أحيانًا لوجود مقتضية – وشر البلية ما يضحك – إلا أني في الوقت ذاته لا يكاد ينقضي عجبي لغياب الهيئات والمجامع العلمية عن هذا العبث بتراث الأمة ، وأدركت جيدًا أن هذا العبث سيستمر ما لم يهب أحد لأخذ الحق وردع المعتدين ، وكم اشتكى أهل العلم ونادوا بمثل ذلك ، وما من مجيب (٣) .

ولقد أتى عليّ حين من الدهر كنت فيه معنيًا بتقييد عجائب هؤلاء «المحققين» وحين تكاثرت عليّ

أمسكت عن التقييد، ثم سألني بعض الأخلاء نشر هذه «العجائب» ليُحْمِصَ بها أولو الجد (٤) ، ولنحمي بها تراثنا - وهذا أهم - إذ سينكف من يهم بالإقدام على التحقيق وليس من ذويه وبخاصة إذا أيقن أن عمله سيصبح ضُحْكَةً بين الناس؛ فأجبت لذلك ، لا سيما أن في هذا استجابة لمناشدة بكر أبو زيد في دعوته الحصيفة إلى حماية التراث والرقابة عليه (٥) .

هذا ؛ وليُعلم أنه ليس من شرطي ذكر أوهام المحققين وأغاليطهم التي منشؤها عدم التقصّي في البحث أو انتقال الذهن ونحو ذلك ، ولكني أورد من ذلك ما كان سببه الجهل المطبق الذي يضيق به القارئ والغفلة المتناهية التي تنأى بصاحبها عن أن يعد في أهل المعرفة والضبط .

وسيجد القارئ - إن شاء الله - فيما أكتب شيئًا من الفوائد الحديثية واللغوية والتاريخية أوجب ذكرها التعقب والتعليق ورَتْقُ فَتْق القوم . وستكون الكتابة وفق منهج يُعلم مما يأتي فأقول مستعينًا بالله وحده مستلهمًا منه السداد:

١ - الكتاب : **ذمُّ الكلام**

المؤلف : **الإمام أبو إسماعيل الهروي - رحمه الله - (٣٩٦ - ٤٨١هـ)**

تحقيق ، وضبط ، وتعليق : **سميح دغيم .**

الناشر : **دار الفكر اللبناني ، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.**

أبو إسماعيل الهروي إمام مشهور من أئمة السنة والجماعة ، وله جهود تذكر فتشكر في الذود عن عقيدة السلف ونصرتها والرد على المنحرفين ، وهو القائل : «عُرضت على السيف خمس مرات ، لا يقال لي : ارجع عن مذهبك ، لكن يقال لي : اسكت عمَّن خالفك . فأقول : لا أسكت»(٦) .

وأشهر كتب الهروي «ذم الكلام» وبه اشتهر ، ولهذا ؛ يُصدَّر هذا الكتاب في مطلع ترجمته عند كثير من مترجميه.

وطالما انتظر أهل العلم صدور هذا الكتاب مطبوعًا يحدوهم الشوق البالغ والرغبة الصادقة ، بل استعجل بعضهم فاقتناه مصورًا عن مخطوط .

ولكن ؛ حين صدر الكتاب بهذه الطبعة أصيب الناس بالخيبة والإحباط ، وذلك لما زخرت به من التحشيات الفاسدة والتحريفات الضخمة ، هذا ؛ مع اقتصار المحقق على نسخة واحدة مبهمة ذات سقط وتصحيف ، أشار إليها بجمل إفرنجية ، وتأمل كيف عالج المحقق عيوب تلك النسخة بقوله : «في المخطوط الكثير من الالتباس وخصوصًا في بعض أسماء الرواة والمحدثين ، وكثيرًا ما نقع على فراغات بيضاء في المخطوط ، أحيانًا كنا نستطيع معرفة ما يجب من يكون من سياق المعنى [كذا] ، وأحيانًا كثيرة لم نعرف ، أضف إلى ذلك أن الكثير من الألفاظ لم نستطع تبيِّن [كذا] معالمها ومعرفة ما تعنيه ، فأثبتناها كما هي ، وأحيانًا كثيرة قدّرنا المعنى وأثبتناه بما يتلاءم والسياق العام للكتاب» (٧) .

نعم ، تدخّل المحقق في النص كما رأيت من كلامه ، ولو كان من أهل المعرفة لهان الخطْب ، ولكنه - كما يظهر من تعليقاته إن كان هو المعلّق - لا يدري ، ولا يدري أنه لا يدري .

وهو إلى ذلك كله جهميٌّ غاشم يتطاول على علماء السنة، ويبادر إلى تخطئتهم دون وعي لمدلولات قولهم (٨).

فيكون إذن مصابًا بداءين اثنين : داء الجهل وداء البدعة ، نسأل الله العافية .

وتعال - الآن - أيها القارئ لأقفك على شيء من عمل ذاك المحقق لتستدل به على بقيته :

١ - **النص** : جاء في الكتاب في صفحة ٢٥٢ : «حدثنا إسماعيل بن إبراهيم [إلى أن قال] قال الشافعي : مذهبي في أهل الكلام تقنيع رؤوسهم بالسياط ، وتشريدهم عن البلاد . وذكر عنه الكرابيسي [أي عن الشافعي] أنه قال : حكمي فيهم حكم عمر في صبيغ» *.

التعليق : قال المحقق * «صبيغ : وصبغة الله : دينه، ويقال : أصله . والصبغة : الشريعة والخلقة ، وفي التنزيل : صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ... ، ومنه صنع [كذا] النصارى أولادهم في ماء لهم ، قال الفراء : إنما قيل صبغة ، لأن بعض النصارى كانوا ! [كذا] إذا ولد المولود جعلوه في ماء لهم كالتطهير ...

المرجع السابق [يريد لسان العرب] مجلد ٨ ، ص٤٣٨» أ . هـ .

التعليق على التعليق : كلام المحقق هذا ؛ كلام مَنْ لا يعقل ما يقول ، فصَبِيغ الوارد في قول المؤلف هو ابن عِسْل (بكسر العين) أو ابن شريك ، كما ذكر الحافظ ابن حجر في تبصير المنتبه (٩) .

وصَبِيغ هذا ؛ كان يسأل الناس عن غوامض القرآن ومتشابهه سؤال تعنّت لا سؤال تفقّه ، فبلغ خبره الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأدّبه وأمر بنفيه إلى البصرة ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن ينهى الناس عن مجالسته ، كما يقول أبو منصور الأزهري (١٠) .

فهذا حكم عمر في صبيغ الذي أشار إليه الشافعي ، رحمه الله . فأين تعليق المحقق الدكتور (!) : «صبيغ : وصبغة الله ... إلخ» مما نحن فيه ؟ إنه في وادٍ وكلام المؤلف في وادٍ آخر .

على أن الهروي - رحمه الله - قد ساق خبر عمر مع صبيغ هذا بعد صفحات من هذا الموضع الذي علق عليه المحقق (١١) . ولكن مثله - أعني المحقق - لا تستبعد عليه الغفلة .

٢ - **النص** : قال الهروي في الكتاب صفحة ٢٤٤ : «وذكر يعقوب عن إسحاق بن محمود الفقيه ، حدثنا إبراهيم بن إسحاق العسلي حدثنا يحيى بن أيوب المقابري قال : سمعت أبا معاوية الضرير يقول : كنت عند هارون الرشيد ، فجرى حديث النبي ﷺ : «التقى آدم وموسى ...» فقال شاب عند هارون : وأين التقيا ؟ فقال هارون : عليّ بالنِّطع * والسيف ، فقلت له : يا أمير المؤمنين هذا شاب تكلم بشيء ما يدري ما يقول ، قال هارون : إني أدري أن هذا ليس من كلامه . ولكن يجيبني من أي زنديق تلقّنه ، قال : فلم أزل به حتى سكن» .

التعليق : قال المحقق * «النطع : ما ظهر من غار الفم الأعلى ، وهي الجلدة الملتزقة بعظم الخليقاء فيها آثار كالتحزيز وهناك موقع اللسان في الحنك ، والتنطع في الكلام التعمق فيه ، لسان العرب ، ابن منصور [كذا] مجلد ٨ ص ٣٧٥» .

التعليق على التعليق : ليت المحقق لم يفسِّر هذه الكلمة واستتر بسكوته ، فإن «النِّطع» معروف مشهور (١٢) ، ولا سيما عند قراء هذا الكتاب فهم مستغنون عن تعريفه . ثم هل هناك اتصال في المعنى بين ما جاء في الخبر وهذا التفسير ؟ أم أن المحقق ينقل ما يسبق إليه بصره دون التفات إلى المعاني ؟ أكبر الظن أن الذي أوقع المحقق هنا ؛ رجوعه إلى «لسان العرب» الموسوعة اللغوية الضخمة، فلم يستطع السير في مسالكه ، ولو قصد إلى كتب اللغة المختصرة كالقاموس والمصباح لوجد أن النطع بساط من الأديم أي الجلد ، وقد اعتيد وضعه تحت من يراد ضرب عنقه لئلا يلوث المكان دمُه .

٣ - **النص** : جاء في الكتاب صفحة (١١٧) : «أخبرنا محمد بن موسى حدثنا الأصم حدثنا الصّغاني حدثنا يحيى بن أبي بكر حدثنا عاصم بن علي حدثنا حصين بن عبدالرحمن، قال : صليت إلى جانب عمارة بن رويبه [كذا] رضي الله عنه ، فصعد بشر بن مروان المنبر، فرفع يديه رفعًا شديدًا ، قال علي : يعني في الخطبة ، فقال عمارة ألا قبح الله (ماسن) * [كذا] اليدين ، أو لعنه الله، شك حصين ، لقد رأيت رسول الله ﷺ على المنبر ، فما يزيد أن يشير بأصبعه» .

التعليق : قال المحقق : * «هكذا وردت [أي الكلمة المحرفة] ولم نستطع تبيُّن معالمها» .

التعليق على التعليق : نقول : الخبر الذي أورده

الهروي مشهور متداول في كثير من كتب السنة وفي مقدمتها صحيح مسلم ، ولو أن المحقق أتقن عمله لخرّج الأخبار والأحاديث وعزاها إلى مصادرها الأصول ، وحينئذٍ يستطيع تبيّن معالم الكلمات التي أشكلت عليه وحيرته وما أكثرها .

ولنورد الآن ما جاء في صحيح مسلم لتتبيّن تلك الكلمة المشكلة (!) .

قال الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج - رحمه الله - في باب تخفيف الصلاة والخطبة : «حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا عبدالله بن إدريس عن حصين عن عمارة بن رؤيبة - رضي الله عنه - قال : رأى - أي عمارة - بشرَ ابن مروان على المنبر رافعًا يديه فقال : قبّح (١٣) الله هاتين اليدين، لقد رأيت رسول الله ﷺ ما يزيد على أن يقول بيده هكذا، وأشار بأصبعه المسبّحة» (١٤).

تنبيه : قول عمارة - رضي الله عنه - في دعائه على بشر: «قبح الله هاتين اليدين» وهو ما تضمنته رواية مسلم - هو اللفظ الثابت عنه ، وذلك فيما رواه الحفاظ عن حصين بن عبدالرحمن عن عمارة . فقد رواه عن حصين غير ابن إدريس :

- هُشيم بن بشير كما في «سنن الترمذي» (٣٩١/٢) (٥١٥) و«صحيح ابن خزيمة» (١٤٧/٣) (١٧٩٣) وهُشيم هذا أعلم الناس بحديث حصين كما قال الإمام أحمد (١٥) .
- وزائدة بن قدامة كما في سنن أبي داود (٦٦٢/١) (رقم١١٠٤) ومسند الطيالسي (ص١٧٩) .
- وزهير بن معاوية كما في مسند الإمام أحمد (١٣٦/٤).
- وأبوزبيد عَبْثر بن القاسم كما في «سنن الدارمي» (٣٩٠/١) (١٥٢٣) .
- وجرير بن عبدالحميد كما في «صحيح ابن خزيمة» (١٤٧/٣) (١٧٩٣) .
- وسفيان الثوري كما في «سنن النسائي» (١٠٨/٣) (١٤١٢) و«مصنف عبدالرزاق» (١٩٢/٣) (٥٢٧٩) و«سنن الدارمي» (٣٩٠/١) (١٥٢٤) لكن سفيان لم يصرح بالدعاء ، بل قال «فسبَّه» وهذا اللفظ المجمل مفسّر بما سبق ، وكذلك يقال في رواية شعبة عن حصين عند أبي داود الطيالسي (ص١٧٩) ، وفيها : «قال شعبة : فشتمه أو نال منه» .

فأما الزيادة التي أوردها أبو إسماعيل الهروي في كتابه هذا «ذم الكلام» وهي قوله : «لعنه الله» فإني أستبعد صحتها لأمرين :

الأول : نكارة اللفظة ، إذ لا يمكن أن يتفوّه صحابي بلعن غير مستحق اللعن ، وقد قال ﷺ : «ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش ولا بالبذيء» رواه الإمام أحمد (٤٠٤/١ ، ٤٠٥) والترمذي (٣٥٠/٤) (١٩٧٧) عن ابن مسعود - رضي الله عنه - وإسناده حسن .

الثاني : ضعف الإسناد ، ففيه عاصم بن علي وأبوه علي بن عاصم ، وكلاهما متكلم في حفظه وخبْطه (١٦) .

وقد سقط من إسناد المؤلف (أو أُسقط) علي بن عاصم، ثم ورد بعد ذلك في أثناء السياق في قوله : قال علي . والمحقق عن كل ذلك بمعزل .

وأشير إلى أني لم أقف على ترجمة يحيى بن أبي بكر الوارد في إسناد المؤلف ، فلعله مصحف عن يحيى بن أبي بكير المصري ، أو يحيى بن أبي بكر الكرماني ، فهما من أهل هذه الطبقة وكلاهما ثقة ، وباقي الإسناد ثقات .

نعم ، جاء شاهد لرواية المؤلف في مسند الإمام أحمد (٢٦١/٤) ، قال - رحمه الله - : «حدثنا ابن فضيل ثنا حصين عن عمارة بن رؤيبة أنه رأى بشر بن مروان على المنبر رافعًا يديه يشير بأصبعيه يدعو ، فقال : لعن الله هاتين اليُدَيَّتَيْن» (١٧) .

ولكنه شاهد غير معتد به بسبب محمد بن فضيل ، فهو وإن كان ثقة على الراجح ؛ إلا أن لديه أخطاء ولا سيما إذا خالف الثقات كما في هذا الحديث ، فقد خالف أصحاب حصين الثقات المشاهير .

٤ – **النّص** : جاء في الكتاب صفحة (١٣٠، ١٣١) :
«أخبرنا محمد بن موسى إجازة [إلى أن قال] عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت : سمعت أبا القاسم ﷺ [كذا] «إن أول ما يكفي الدين [كذا] كما "يتكفا" * الخمر» قلت : كيف يا خليلي وقد بيّن الله فيه ما بيّن قال : «أقوام من أمتي يسمونه بغير اسمه» .

– **التعليق** : * قال المحقق في قوله : «يتكفا» هكذا وردت في أصل المخطوط ولم نستطع تبيّن معناها .

– **التعليق على التعليق** : نقول : هذا الحديث الذي ساقه الهروي رواه الدارمي (٥٤٨/١) وغيره ، وهو حديث حسن ، وألفاظه ظاهرة لو رجع إليه المحقق في مصادره ، قال الدارمي : حدثنا زيد بن يحيى ثنا محمد ابن راشد عن أبي وهب الكلاعي عن القاسم بن محمد عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن أول ما يُكفأ – قال زيد يعني الإسلام – كما يكفأ الإناء – يعني – الخمر» فقيل كيف يا رسول وقد بين الله فيها ما بيّن ؟ قال رسول الله ﷺ : «يسمونها بغير اسمها فيستحلونها».

٥ – **النص** : جاء في الكتاب صفحة (١٧٠) : «أخبرنا محمد بن جبريل ويحيى بن أبي طالب قالا : أخبرنا خالد بن محمد بن عبدالله حدثنا بشر بن موسى حدثنا الحميدي وأخبرنا الحسين بن محمد العلي أخبرنا أحمد بن محمد بن حسنويه أخبرنا الحسين بن إدريس حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا يحيى بن أبي بكر العبدي قال : حدثنا سفيان بن عيينة حدثني العلاء بن أبي العباس أنه سمع أبا الطفيل يحدث عن بكر بن قرواش عن سعد بن أبي وقاص قال : ذكر رسول الله ﷺ ذا الثدية فقال : «شيطان للرد به راعي الخيل عبدره *» رجل من بجيلة يقال له : الأشهب أو ابن الأشهب علامة في قوم طلمته ...» إلخ النص المحرف .

التعليق : * قال المحقق عند قوله «عبدره» : «في أصل المخطوط عبدرة وأثبتناها كما هي دون أن نعرف ماذا تعني» .

– **التعليق على التعليق** : الحديث الذي ذكره المؤلف أخرجه الحميدي في «المسند» (٣٩/١) والإمام أحمد (٧٥/٣ ط أحمد شاكر) (مختصرًا) والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٤٠٦/٣) وأبو يعلى الموصلي في «المسند» (٩٧/٢) والحاكم في «المستدرك» كلهم من رواية سفيان بن عيينة [18] عن العلاء عن أبي الطفيل عن بكر بن قرواش عن سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – قال : ذكر رسول الله ﷺ ذا الثدية ، فقال : «شيطان الردهة راعي الخيل يحتدره رجل من بجيلة يقال له : الأشهب أو ابن الأشهب ، علامة في قوم ظَلَمة» قال سفيان : فأخبرني عمار الدهني أنه جاء به رجل يقال له : الأشهب أو ابن الأشهب . هذا لفظ الحميدي . قوله : شيطان الردهة أي : الحية . والردهة : نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء . وقوله: يحتدره قال الشيخ أحمد شاكر : «معناه فيما أرى : يحدره ، أي يحطه من علو إلى سفل» .

هذا ، وقد اجتهد الشيخان أحمد شاكر في شرحه لمسند الإمام أحمد وحبيب الرحمن الأعظمي في تحقيقه لمسند الحميدي ، اجتهدا في إصلاح ألفاظ الحديث وإيضاح معانيها .

وأما درجة الحديث فقد قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٣٤/٦) : «رواه أبو يعلى وأحمد باختصار والبزار ورجاله ثقات» وقال الحاكم : «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» كما صحح إسناد الحديث من بعدُ الشيخُ أحمد شاكر .

ولكن ؛ قال الذهبي متعقبًا الحاكم : «ما أبعده من الصحة وأنكره» ، وقال بنحو ذلك في ترجمة بكر بن قرواش في «الميزان» (٣٤٧/١) .

وجعل محققُ مختصر ابن الملقن تلك النكارة بسبب تفرد بكر بهذا الحديث [19] ، لا سيما وقد قال البخاري في بكر هذا : «فيه نظر» [20] . وقال علي بن المريني : «لم أسمع بذكره إلا في هذا الحديث» [21] وقال العقيلي : «هذا اللفظ لا يعرف إلا عن بكر قرواش» [22] .

وبعد ؛ فهذه نماذج من عمل المحقق تفصح عن قيمة تحقيقه ومبلغ تعليقاته ، ونحمد الله أن كانت تعليقاته قليلة، ولو كثرت لعَظُم الخطب .

وأعتذرُ مرة أخرى عن هذا الإسهاب الذي أوجبه التحقيق ، وأسأل الله جلّت قدرته أن يهيئ لكتاب «ذم الكلام» للهروي من يخرجه للناس كما أراد مؤلفه، موشًى بحلل من التعليقات التي تسر الناظرين ...

الهوامش

١ – انظر : جريدة «الشرق الأوسط» العدد (٦٤٠٩) الصادر في (١٥/٦/١٩٩٦م) «فعاليات الندوة العالمية للمخطوطات» .

٢ – ستقف على أمثلة من ذلك إن شاء الله .

٣ – انظر : الرسالة القيمة «الرقابة على التراث» للشيخ بكر أبوزيد .

٤ – إحْماضُ القوم : إفاضتهم فيما يأنسون ويتفكهون به من الحديث . انظر : «اللسان» (حمض) .

٥ – انظر : «الرقابة على التراث» (٣٨) .

٦ – «سير أعلام النبلاء» (٥٠٧/١٨) .

٧ – ذم الكلام (المقدمة ١٠) .

٨ – السابق ٢٦٣ .

٩ – (٩٥٤/٣) .

١٠– انظر : «تهذيب اللغة» (٢٧/٨)، «تفسير القرطبي» (٢٩/١٧) «صون المنطق والكلام» للسيوطي (١٦) ، «تاج العروس» (٢٠/٦) .

١١– انظر «ذم الكلام» (٢٦٧) .

١٢– قال ابن فارس في «المجمل» (٨٧٢) : «النِّطع : معروف» .

١٣– قال الشيخ أحمد شاكر : «(قَبَح) ثلاثي من باب (منع) أي أبعده الله ونحّاه عن الخير ، قال أبو عمرو : «قَبَحت له وجهه» مخففة ، والمعنى : قلت له : قَبَحه الله وهو من قوله تعالى : ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ أي من المبعدين الملعونين ، وهو من القَبْح ، وهو الإبعاد» هذا هو المعروف في كتب اللغة ، والمشهور على ألسنة الناس تشديد الباء ، وقد وجهه في المصباح والمعيار بأنه للمبالغة» «حاشية سنن الترمذي» (٣٩١/١) .

١٤– «صحيح مسلم» (٥٩٥/٢) (٨٧٤) .

١٥– ينظر : «العلل ومعرفة الرجال» (٣٧٠/١) .

١٦– انظر : تهذيب الكمال (٥٠٨/١٣ ، ٥٠٦/٢٠) .

١٧– هكذا بالتصغير ، وفي رواية زهير بن معاوية عند الإمام أحمد أيضًا ، قال : «هاتين اليدين أو هاتين اليُدَيَّتين» بصيغة الشك ، وفي رواية الترمذي «اليُدَيَّتين القصيِّرتين» .

١٨– سقط اسم سفيان من المستدرك المطبوع .

١٩– انظر : «مختصر استدراك الذهبي على مستدرك الحاكم» لابن الملقن (٧ / ٣٤٣٠) (الهامش).

٢٠– «التاريخ الكبير» (٩٤/٢/١) .

٢١– «ميزان الاعتدال» (٣٤٧/١) .

٢٢– «الضعفاء» (١٥١/١) .

راكان بن حثلين

فارس وشاعر وشيخ قبيلة العجمان ليحيى الربيعان

هزاع بن عيد الشمري - الرياض

الربيعان ، يحيى / راكان بن حثلين فارس وشاعر وشيخ قبيلة العجمان ·- ط١٠- الكويت : شركة الربيعان للنشر والتوزيع ، ١٩٩٥م، ٢٩٠ص .

«راكان بن حثلين ، فارس وشاعر وشيخ قبيلة العجمان» هذه العبارة هي عنوان كتاب صدر في الكويت في طبعته الثانية عام ١٩٩٦م ، لمؤلفه / يحيى بن محمد الربيعان ، وهو أديب وناشر معروف .

وقد وقع الكتاب في ٢٩٧ صفحة من الورق الفاخر يجلله غلافٌ في أتم الأناقة ، تتوسط صفحته الأولى صورة بالرسم لراكان بن حثلين أخذت عن الأصل ، التي بروزت في أسفل تلك الصفحة .

ولقد حشد المؤلف جميع ما وقع بين يديه من معلومات عن الفارس الشيخ راكان وعلاقته بحكام وأمراء ووجهاء وشيوخ قبائل عصره كما جاء المؤلف على أخبار شتى من تلك الفترة وما حولها من عصور .

وبدأ المؤلف كتابه بكلمة شكر وتقدير خالص للذين شجعوه وأسهموا معه في جمع أو توفير مادة الكتاب وذكر أسماءهم، ثم شكر وتقدير آخر للشيخ سلطان بن حثلين لما قام به من مد المؤلف بمعلومات قيمة عن جده الأعلى راكان، وقد أسهب المؤلف في الثناء على سلطان وذكر شيئًا من مكانته الاجتماعية والحكومية في الكويت، وألحق ذلك بكلمة شكر وامتنان أيضًا لعضو هيئة التدريس بجامعة الكويت مرسل العجمي الذي قرأ مخطوطة الكتاب وأبدى جهداً في التوجيه والملاحظات والتصويبات . ولحق بذلك المقدمة ثم مقدمة الطبعة الثانية .

أبواب المتن الرئيسة :

١ - الوسط الجغرافي الذي عاش فيه الشيخ راكان بن فلاح بن حثلين : وفيه استعرض في أربع وثلاثين صفحة موقع الكويت وسكانها ومواقع العجمان - عشيرة راكان - فيها . وكذلك المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية ومساكن العجمان فيها .

٢ - السياق التاريخي للعصر الذي عاش فيه الشيخ راكان: واستعرض فيه الفصول التالية :

- الحياة الاجتماعية والتقاليد البدوية .
- الشيخ صباح بن جابر .
- العجمان وعلاقتهم مع الشيخ صباح الثاني بن جابر بن صباح .
- الشيخ محمد الأول بن صباح .
- الشيخ مبارك بن صباح «الكبير» .
- الشيخ سالم بن مبارك الصباح .

٣ - حكام الأحساء في عهد راكان بن فلاح بن حثلين وبعده .

٤ - أصحاب الجلالة والسمو أئمة وملوك وأمراء المملكة العربية السعودية ؛ وفيه من الفصول :

- الأمير محمد بن سعود بن محمد بن مقرن .
- الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود .
- الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد .
- الإمام عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز .
- الإمام تركي بن عبدالله .
- الإمام فيصل بن تركي بن عبدالله .

- جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود .

٥ - ظهور الدولة العثمانية وحروبها ثم انحسار هذه الدولة.

٦ - قبيلة العجمان :
- نشأتهم ونسبهم .
- أصل تسميتهم .
- هجر العجمان .

٧ - بعض أبطال وشعراء العجمان .

٨ - راكان بن فلاح بن مانع بن حثلين شاعر وفارس وشيخ قبيلة العجمان .
- فترة زعامته لقبيلة العجمان .
- "مرثية فارس" للشاعر البحريني إبراهيم بن محمد آل خليفة .
- زواج راكان بن فلاح .
- بعض أحداث قبيلة العجمان في عهد راكان .

٩ - معارك العجمان : وذكر المؤلف ثلاث عشرة معركة بدءاً من معركتهم مع سليمان الزهير وانتهاءً بمعركة كنزان .

١٠- أسر راكان : وقد اعتمد المؤلف في رواياته في أسر راكان على رواية عبدالله الحاتم ورواية منديل الفهيد ورواية الشاعر محمد بن فردوس العجمي ، وعدّ المؤلف تلك من الروايات الشعبية التي ألحقها برأيين سبق نشرهما لمحمد آل زلفة وطلال السعيد وأوردهما المؤلف بنصِّهما حيث دارتا حول راكان نفسه .

١١ - شعر راكان بن فلاح بن حثلين : وأورد المؤلف خمساً وثلاثين قصيدة وقطعة من شعر راكان .

وقد أبان غرض المؤلف من تأليف هذا الكتاب ما أشار إليه بقوله في المقدمة : «إيماناً بأهمية التراث الشعبي ، وما يحتله الشاعر الفارس الشيخ راكان بن فلاح بن حثلين من مكانة كبيرة ومرموقة يقدرها جميع العرب وعشاق الأدب الشعبي ، ورغم مضي أكثر من قرن على وفاته ، وتلبية لرغبات القراء المهتمين ، قمنا بإعداد هذا الكتاب ... إن هذا الرجل العظيم الذي ذاع صيته في كل البوادي العربية حتى حينما غاب جسده عنا ، بقيت بطولاته وقصصه وأشعاره محفورة في أفئدتنا ومحفوظة في قلوبنا .. إن الشيخ راكان ، كان وما برح نجماً ورمزاً وبطلاً عربياً .. إنه من الأبطال العرب الذين نحبهم ونجلهم ونفخر بأدوارهم وتاريخهم الحافل بالبطولات والمواقف الشجاعة ... سوف يجد القراء في هذا الكتاب كل ما أمكن حصره من أشعار وحكايات تتعلق بالشيخ راكان ... وقد ذيلت القصائد والقصص بشروح لها وذكر المراجع التي استقينا منها المعارك والأحداث» .

وتجدر الإشارة إلى أن طبعة الكتاب الأولى كانت قد سبقت الثانية بأربعة شهور فقط ، ولهذا قال المؤلف في مقدمة الطبعة الثانية : «لقد صدر من الطبعة الأولى عشرة آلاف نسخة وكان ذلك في شهر سبتمبر ١٩٩٥ ومن فضل الله نفدت الطبعة في يناير ١٩٩٦ ... قمنا بطبع الكتاب طبعة ثانية بعد أن نقحناها من الأخطاء المطبعية التي ظهرت سهواً فيها وأضفنا نصوصاً جديدة .. أهمها ما جاء في نص "مرثية فارس" للشيخ الأديب إبراهيم بن محمد الخليفة الذي كانت تربطه صداقة حميمة بفارس وشيخ العجمان راكان» .

وبعد ؛ فقد بذل المؤلف جهداً كبيراً في جمع مادة هذا الكتاب النفيس في موضوعه ومعلوماته الحسنة التي قد لا يعرفها جمهرة الناس حتى المهتمين منهم بالتاريخ المتأخر فنحن لاشك سمعنا براكان بن حثلين ، شاعراً أو فارساً وسيداً ، ولكننا نجهل الكثير من شئونه وشجونه فلمسنا الاستزادة عن تلك من خلال سفر يحيى الربيعان الذي عنى ما عناه وتعنَّى ما تعناه فأتحفنا بأخبار أخرى لهذا الفارس المجيد الذي عُدّ من طبقة أوائل الفرسان الشجعان والأمراء الأفذاذ الشيوخ في القرون الماضية القريبة في جزيرة العرب .

وفي نظري أن يحيى الربيعان من خلال كتابه هذا يستحق الشكر الجم ليس على ما أصدره فحسب بل حتى على مجرد الفكرة نفسها، ومع ذلك نطلب منه الكرة بعد الكرة في إصدار كتب من هذا النمط فما زالت جزيرة العرب ومآثر فرسانها وشجعانها وساداتها وشيوخها

تزخر بأمثال راكان بن حثلين ، الذين يحتاجون إلى من يجوس في هذا القفر من الأخبار والبحث والتأليف .

وبالإضافة إلى ما سبق عن هذا الإصدار من إشارات قد لا تفيه حقه فإنه يحتوي على صور نادرة ومهمة لبعض شخصيات تلك العصور وللأماكن والمناهل التاريخية .

ولابد من إشـــارة إلى بعض الملاحظات البسيطة التي ينبغي على المؤلف تلافيها في الطبعة القادمة – إن شاء الله – وقد تلخص بما يلي :

أولاً : أخطاء لغوية ونحوية ، فأما الأولى مثل إهمال تنقيط الياء لتفريقها عن الألف المقصورة مثل (فيليب حتى) ص ٣٨ و (ياقوت الحموى) ص ٣٩ فصحيحهما (حتي) و(الحموي) . وكذلك إهمال تنقيط التاء المربوطة في بعض العبارات لتفريقها عن الهاء مثل (صحراء الجافوره) ص٣٨، و(المعلقه الرائعه) ص ٤٣ ، و(خريقه) ص٥١ ، و(عنزه) ص١١٥ وهكذا دواليك . وأما الثانية فمثل (من قبائل بنو خالد) ص٣٥ ، و(قوافل قبيلة بنو خالد) ص٧٦ ، و(ويذكر الحاضرون في مجلسه) ص١٤٢ وصحتها (الحاضرين) حسب سياق ما قبله ... إلخ .

ثانيًا : كنت تمنيت على المؤلف الكريم أن يقوم بضبط الشعر بتشكيل كلماته لأنه لا يستقيم نطقه – خاصة الشعر الشعبي – دون ضبطه فمثلاً شطر البيت الوارد ص ٢٥٩ :

عقب المعزه صار كنا دراويش ....

فبدون ضبط للكلمات ربما التبس على غير العارف التمييز بين كلمة (المَعَزّة) من العز والجاه وبين كلمة (المعزة) من العنز وهي البهائم المعروفة .

ومثل ذلك في القصيدة ص ٢٦٧ حيث البيت :

يا فاطري خُبِّي طوارف طميه

إلى زمالك لون خشم الحصان

فالأصل والسياق في (طميه) هو (طميَّة) وهو موضع.

وقد يلتبس على غير العارف التفريق في (زما لك) بين الحي المعروف في مصر وبين (الزمي) وهو الارتفاع والضمير عائد إلى فاطره وهي ناقته . ثم إنه لابد من وضع ياء بعد نون (الحصان) للسياق على قافية القصيدة وهذه قاعدة في شعر النبط لازمة، فلا غنى ولا إهمال لتساوي أحرف القافية ولا يمكن تعويضها بالحركات . وتسري هاتان الملاحظتان على بقية قوافي شطري أبيات القصيدة نفسها .

ثالثًا : يلاحظ على المؤلف الكريم التوسع في شرح ما لا يلزم شرحه في مثل هذا الكتاب كجغرافية الكويت وجغرافية المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية وبعض المواضيع الأخرى ، وكظهور الدولة العثمانية وحروبها وانحسارها . ولعل له عذر البحث لغرض التقصي .

رابعًا : يلاحظ على المؤلف الكريم خلطه بين الوثيقة التاريخية والمقالة التاريخية التي تعبر عن رأي كاتبها وخطراته، وإن تضمنت بعض التوثيق التاريخي ، مثل عدّه مقالة الكاتب محمد بن عبدالله آل زلفة عن (الحدث بين الرواية الشعبية والوثيقة التاريخية) الملحقة بالكتاب بنصها وصورتها كاملة ، وثيقة تاريخية مع أنها لا تتعدى رأيًا بحثًا يوافقه فيه بعض ويخالفه آخرون وإن تضمن وثيقة بنصها دون صورتها الأصلية تتحدث عن توصية بإطلاق سراح راكان بن حثلين وعودته إلى بلاده وموافقة السلطان العثماني على ذلك مكافأة لهذا الفارس الذي أبلى في الحرب العثمانية – الروسية ، والحرب العثمانية – العربية ونتيجة لتقدم سنه .

وفي آخر المطاف لفت نظري المؤلف إلى عميق امتنانه وشكره في الإطراءات التي عم بها كل من قام حتى ولو بقليل من المساعدة بمده ببعض الورقات أو المعلومات ذاكرهم اسمًا اسمًا، وهذا يدل على عميق أصالته وكرم نخوته ومثالية أدبه وثقته بنفسه .

شأن الدعاء للإمام الخطابي، ت ٣٨٨هـ

أحمد بن عبدالله الباتلي

قسم السنة وعلومها - كلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي/ شأن الدعاء؛ تحقيق أحمد يوسف الدقاق .- دمشق : دار المأمون للتراث، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، ٢٠٩ص .

مقدمة : يعد القرن الرابع الهجري (١) من القرون التي شهدت نهضة علمية كبرى في تاريخ الحضارة الإسلامية في مختلف جوانب المعرفة الإنسانية .

ويتمثل هذا النهوض في كثرة العلماء ومؤلفاتهم القيمة التي كانت تزخر بها المكتبات الإسلامية آنذاك .

فالقرن الرابع الهجري كان امتداداً للقرون الثلاثة المفضلة، ومن الأعلام الذين اشتهروا فيه الإمام المحدث الفقية اللغوي الأديب أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، المتوفى سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة للهجرة .

واشتهر بين العلماء بآرائه السديدة، وكتبه القيمة، فهو أول شارح لصحيح البخاري في كتابه (**أعلام الحديث**) ولسنن أبي داود في كتابه (**معالم السنن**) .

ولقد اختار الباحث التعريف بمنهجه في كتاب (**شأن الدعاء**) لما تميز به هذا الكتاب من فوائد علمية، حيث حوى ثلاثة موضوعات مهمة هي: معنى الدعاء وأحكامه وشروطه، ثم تفسير أسماء الله الحسنى، ثم شرح أحاديث الأذكار والدعوات المشروعة في اليوم والليلة . إضافة إلى أن أكثر طلاب العلم يظنون أن الكتاب ما هو إلا في بيان فضل الدعاء وأهميته لما يقتضيه عنوانه (**شأن الدعاء**) فرغبت التعريف به لأطلع القراء على محتواه من خلال عرض منهجه، وآراء مؤلفه ومصادره، وأثره العلمي من خلال مميزاته الكثيرة .

ونظراً لأن الكتاب لم يطبع سوى طبعة واحدة بتحقيق أحمد يوسف الدقاق، فلقد ذيل البحث بعرض نقدي موسع لهذا التحقيق فأثنيت على جهد المحقق وبينت محاسنه ثم ذيل بما ظهر لي من ملاحظات على تحقيقه .

واستهل البحث بتمهيد مقتضب عن حياة الإمام الخطابي ومؤلفاته .

التمهيد

ترجمة موجزة لحياة «الإمام الخطابي» (٢) .

هو الإمام المحدث الفقية اللغوي الأديب أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي . ولد سنة سبع أو تسع عشرة وثلاث مئة في مدينة بُست ونشأ بها، وبدأ في طلب العلم عند أسرته ثم رحل إلى مكة ثم بغداد ثم البصرة، ثم نيسابور، وتتلمذ على كبار علماء عصره ومنهم : أبو سعيد ابن الأعرابي، وأبو بكر ابن داسة، وأبو بكر الإسماعيلي وأبو العباس الأصم والقفال والشاشي وغلام ثعلب، وأبو منصور الأزهري وإسماعيل الصفّار وغيرهم .

وجلس للتدريس فروى عنه الإمام الحاكم النيسابوري وأبو حامد الإسفراييني وأبو عبيد الهروي، وعبدالغافر الفارسي، وخلف الخيام وغيرهم .

وهو شافعي المذهب (٣)، وله عناية بالشعر والأدب حتى

قال عنه الثعالبي [٤]: إنه كان يقول شعرًا حسنًا.

وتوفي سنة ثمان وثمانين وثلاث مئة في مدينة بُست [٥].

وأثنى عليه العلماء فوصفه الإمام الذهبي [٦] بأنه الإمام العلامة الحافظ اللغوي صاحب التصانيف، كان ثقة مثبتًا من أوعية العلم.

وقال ابن الجوزي [٧]: له فهم مليح وعلم غزير ومعرفة باللغة والمعاني والفقه وله أشعار جيدة.

وقال النووي [٨]: هو الإمام المجمع على إمامته، وتفننه في العلوم وإتقانه واطلاعه وتحريه.

وقال ابن العماد الحنبلي [٩]: كان أحد أوعية العلم في زمانه، حافظًا فقيهًا، مُبرزًا على أقرانه، وما أحسن عبارة الفخر الرازي [١٠]، حيث قال: جُعل الحديث لأبي سليمان كما جُعل الحديد لأبي سليمان، يعني داود عليه السلام.

مؤلفات الإمام الخطابي

يعد الإمام الخطابي من المكثرين في التأليف حتى وصف بأنه صاحب التصانيف النافعة [١١]، وأثنى على كتبه الإمام أبو طاهر السِّلفي بقوله [١٢]: وأما أبو سليمان فإذا وقف منصف على مصنفاته واطلع على بديع تصرفاته في مؤلفاته تحقق إمامته وديانته، ومما وقفت على ذكره من مؤلفاته ما يلي:

١ - **إصلاح غلط المحدثين**. طبع مرارًا.

٢ - **أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري**، مطبوع بتحقيق سمو الأمير الدكتور / محمد بن سعد ابن عبدالرحمن آل سعود، وصدر عن جامعة أم القرى بمكة المكرمة سنة ١٤٠٩هـ.

٣ - **الأمالي**.

ذكره ياقوت في معجم البلدان ٢/٢٢٩ عند كلامه عن الحديبية.

٤ - **بيان إعجاز القرآن**. طبع مرارًا.

٥ - **تفسير اللغة التي في مختصر المُزني**.

ذكره السبكي في طبقات الشافعية ٣/٢٩٠.

٦ - **التوحيد**.

ذكره ابن رجب في (جامع العلوم والحكم) في آخر شرح الحديث رقم ٢٢ ص١٨٥.

٧ - **جمع القرآن**.

ذكره الخطابي في كتابه (أعلام الحديث) ٣/١٨٥.

٨ - **الجهاد**.

ذكره حاجي خليفة في (كشف الظنون) ٢/ ١٤١٠ وإسماعيل باشا في (هدية العارفين) ٥١/٦٨.

٩ - **دلائل النبوة**.

ذكره الخطابي في كتابه (أعلام الحديث) ٢/١٨٥.

١٠- **شأن الدعاء**، مطبوع بتحقيق الشيخ / أحمد يوسف الدقاق، وصدر عن دار المأمون عام ١٤٠٤هـ.

١١- **شعار الدين**.

ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في (درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٢٩٤) وبيان تلبيس الجهمية ١/٢٤٩.

١٢- **الطب**.

ذكره في كتابه (أعلام الحديث) ٣/ ٢١٠٧.

١٣- **العزلة**، طبع مرارًا.

١٤- **غريب الحديث**، طبع بتحقيق عبدالكريم العزباوي، وصدر عن جامعة أم القرى عام ١٤٠٢هـ.

١٥- **الغنية عن الكلام وأهله**.

لخصه السيوطي في كتابه (صون المنطق والكلام).

١٦- **الفطرة**.

ذكره الخطابي في كتابه (معالم السنن) ٤/٣٢٧.

١٧- **الكلالة**.

ذكره في الموضع السابق ٤/٩٤.

١٨- **معالم السنن في شرح سنن أبي داود**.

طبع بعناية محمد راغب الطباخ في دمشق عام ١٣٥١ هـ. ثم طبع بتحقيق أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي في مصر سنة ١٣٦٩هـ.

١٩- **معرفة السنن والآثار**.

ذكره الكتاني في (الرسالة المستطرفة) ص٤٤.

٢٠- **منتخب الموطأ**.

ذكره صاحب كشف الظنون ٢/ ١٩٠٨.

التعريف بكتاب شأن الدعاء

تسمية الكتاب وتوثيق نسبته للمؤلف :

تعددت أسماء هذا الكتاب، وتعددها راجع إلى أن من ترجموا للخطابي، وذكروا الكتاب، منهم من ذكره باسم شامل لمضمونه كله على وجه الإجمال، ومنهم من أخذ جزءًا من أجزاء الكتاب وسماه به .

وذلك ؛ لأن الكتاب مشتمل على أربعة أبواب ، هي :

١ - معنى الدعاء، وأحكامه وشروطه .

٢ - تفسير الأسماء الحسنى المذكورة في بداية كتاب «الدعاء لابن خزيمة أو الدعوات له» (١٣) .

٣ - شرح باقي أبواب كتاب «الدعاء» لابن خزيمة (١٤) .

٤ - باب اللواحق من الأدعية التي لم يذكرها ابن خزيمة (١٥) .

والذي يؤيد هذا التقسيم هو واقع الكتاب، ومقدمة الخطابي له، حيث ذكر أنه قد سأله إخوانه عن بيان معنى الدعاء، وما يتعلق به من أحكام وعقائد، وسألوه أن يشرح كتاب «الدعاء لابن خزيمة»، فأجاب طلبهم بهذا الكتاب، وزاد على طلبهم بابًا أخيرًا عدّه من اللواحق المتممة للموضوع . حيث ذكر فيه أدعية مأثورة لم يذكرها ابن خزيمة في كتابه، وأتبع كل حديث منها بشرحه .

فهذا بإيجاز هو سبب اختلاف أسماء الكتاب، وإليك بيان ما ذكره العلماء عن تسميات الكتاب :

- ذكر ابن خِلِّكان (١٦)، وياقوت (١٧)، أن اسم الكتاب «**شأن الدعاء**» ، وبهذا الاسم طبع الكتاب محققًا كما سيأتي .

- وذكر بروكلمان (١٨) أن اسم الكتاب «**شأن الأدعية المأثورة**» .

- وذكر سزكين (١٩) أن اسمه «**شأن الدعاء المأثور**» .

وهذه التسميات تشمل مضمون الكتاب كله على وجه الإجمال، لأن كل ما ذُكر فيه يعدّ من شأن الدعاء سواء كان متعلقًا بمعنى الدعاء، أو بأحكامه، أو بشرح الأسماء الحسنى، حيث إنها مما يدعى به كما قال تعالى ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعُوهُ بها**﴾ (٢٠) أو بشرح بعض الأدعية المأثورة التي يشرع الدعاء بها .

وأما من سماه بجزء منه، فلقد سمي بشرح الدعوات .

- حيث سماه الصفدي (٢١) : «**شرح دعوات لابن خزيمة**».

- وسماه ياقوت (٢٢) : «**شرح الأدعية المأثورة**» .

- وسماه ابن خير الإشبيلي (٢٣) : «**تفسير الأدعية المأثورة**» .

- وسماه عمر رضا كحالة (٢٤) : «**الدعوات وتفسيرها**».

وهذه التسميات كلها أخص من التسمية الأولى من حيث الدلالة، ولكن يمكن إطلاقها على الكتاب كله باعتبار موضوعه الأصلي - وهو شرح كتاب الدعاء لابن خزيمة - وما عداه فهو من اللواحق المتممة .

وسمي أيضًا بشرح أو تفسير الأسماء الحسنى .

- فسماه ابن قاضي شُهبة (٢٥)، وإسماعيل باشا البغدادي (٢٦) : «**شرح أسماء الله الحسنى**» .

- وسماه الإمام الذهبي (٢٧)، والسبكي (٢٨)، والعراقي (٢٩)، وحاجي خليفة (٣٠) «**شرح الأسماء الحسنى**» .

- وسماه الصفدي (٣١) : «**تفسير أسماء الرب عز وجل**».

- وسماه ياقوت (٣٢) : «**تفسير أسامي الرب عز وجل**».

وسماه أيضًا (٣٣) «**صفة أسماء الله تعالى**» .

هذا ما تيسر لي الوقوف عليه من تسميات الكتاب، ويظهر لي أن أوضح تسمية له، وأشمل لمضمونه ما جاء في آخر النسخة المغربية (٣٤) للكتاب من قول الناسخ «تم كتاب تفسير الأسماء، والدعوات بحمد الله وحسن عونه» .

هذا؛ ومما تجدر الإشارة إليه أن لا يظن أن ما ذكره المؤلف أثناء الكتاب مما سيبدأ به الباب، أو يختم به يعدّ تسمية من أسامي الكتاب؛ بل هي عبارات انتقالية من المؤلف عند كل باب أو في نهايته، فمن ذلك قوله: «فهذا ما حضرني في تفسير الأسماء ومعانيها ونحن نتبعه الآن، تفسير الدعوات المأثورة» (٣٥) .

ومما يحسن التنبيه عليه أيضًا هو أن لا يظن أن تلك التسميات تدل على أن كلاً منها مستقل عن غيره... بل كلها ضمن كتاب واحد هو «**شأن الدعاء**»، ويدل على ذلك ربطه بين تلك الأبواب، فتجده عند بداية ونهاية كل باب يذكر ما يدل عليه، ومن ذلك قوله معنى الدعاء (٣٦). ثم بعد الفراغ منه يقول: وإذا أتينا بما قد وجب تقديمه من

شرائط صحة الدعاء ، فلنعمد لتفسير ما جاء منه مأثورًا عن رسول الله ﷺ ولنبدأ بتفسير أسماء الله عز وجل (٣٧) ولما فرغ منه قال، فهذا ما حضرني في تفسير الأسماء ومعانيها ونحن نتبعه الآن تفسير الدعوات المأثورة فصلاً فصلاً (٣٨) ... ولما فرغ منه أتبعه بقوله ومن لواحق الدعاء الذي لم يذكر في المأثور (٣٩) أي في كتاب الدعوات لابن خزيمة - ثم ختم الكتاب بقوله تم كتاب تفسير الأسماء والدعوات (٤٠) ... كما في النسخة المغربية .

فاتضح جليًا مدى تناسق الكتاب وحرص المؤلف على ترابط أبوابه .

ومما يدل أيضًا على أن جميع تلك الأبواب في كتاب واحد ماورد في نهاية بعض نسخه، حيث كتب في نهاية النسخة الظاهرية (٤١) «آخر كتاب شأن الدعاء وتفسير الأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ التي جمعها محمد ابن إسحاق بن خزيمة» وتقدم ذكر نهاية النسخة المغربية (٤٢)، وكذلك قول الخطابي (٤٣) : «فهذا تفسير الأسماء التسعة والتسعين التي رواها محمد بن إسحاق بن خزيمة - رحمه الله - من طريق شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة» يدل على أن شرح الأسماء الحسنى والدعوات كتاب واحد قدم له الخطابي بمقدمة عن الدعاء ، وما يتعلق به وختمه بلواحق متممة لكتاب الدعوات لابن خزيمة .

منهج المؤلف في الكتاب

١ - المراد بعنوان الكتاب :

سمى المؤلف كتابه «**شأن الدعاء**» . ولعله قصد من ذلك أن هذا الكتاب لبيان حال الدعاء وأمره ، حيث إن كلمة شأن في اللغة تعني الخطب والأمر والحال، كما قال ذلك ابن الأثير (٤٤)، والجوهري (٤٥)، وابن منظور (٤٦)، ويستدل على ذلك بقوله تعالى :

﴿وما تكونُ في شَأنٍ وَمَا تتلوا منهُ من قُرءَانٍ ولا تعملُونَ من عَمَلٍ إلا كُنا عليكُم شُهُوداً إذ تُفيضُونَ فيه وما يعزُبُ عَن رَبك مِن مِثقَالِ ذَرَّةٍ في الأرض ولا في السماءِ ولا أصغَرَ من ذَلكَ ولا أكبر إلا في كتابٍ مُبِينٍ﴾ (٤٧) .

وفسر القرطبي (٤٨) الشأن في هذه الآية بأنه الخطب والأمر. وقصره الزمخشري (٤٩) على الأمر، أما عبدالرحمن ابن سعدي (٥٠) فقال : أيُ حالٍ من أحوالك الدينية والدنيوية . أ هـ . ويدل عليها أيضًا قوله تعالى :

﴿لكل امرئٍ منهم يَومئذٍ شَأنٌ يُغنيه﴾ (٥١) .

فيتضح من هذا أن المؤلف أراد أن يبين الدعاء في مختلف أموره وأحواله، ببيانه لمعناه، وشروطه، وأهميته، ومكروهاته، وما يستحب أن يدعى به من أسماء الله الحسنى ومعانيها، وما يشرع الدعاء به في مختلف أحوال اليوم والليلة .

٢ - مكان تأليفه :

قال الإمام الذهبي (٥٢) : أقام (أي الخطابي) مدة بنيسابور يصنف؛ فعمل ... وكتاب شرح الأسماء الحسنى .

٣ - موضوعه :

بيان معنى الدعاء، وأهميته، وأحكامه الفقهية والعقدية، وما ورد فيه من الأحاديث التي أخرجها ابن خزيمة، وما أضافه إليها الخطابي مما لم يذكره ابن خزيمة مع شرحها .

٤ - تبويب الكتاب :

رتب المؤلف موضوعات الكتاب في سياق متسلسل، ونبه خلاله على الانتقال من الموضوع الذي يتناوله إلى الموضوع الذي يليه من موضوعات الكتاب الأساسية .

لكنه لم يلتزم بذكر عناوين مفردة لكل موضوع، لعله اكتفى عن ذلك بتنبيهاته على الانتقال من موضوع لآخر، حيث إن كل تنبيه نجد فيه عنوانًا موافقًا لمضمون البحث الذي نبه عليه سواء ابتدأ فيه، أو فَرغ منه، ومن ذلك قوله (٥٣) : «وقد اختلفت مذاهب الناس في الدعاء» .

فهذا فيه عنوان للموضوع وهو «مذاهب الناس في الدعاء»

وهكذا كما تقدم في آخر الكلام على مسميات الكتاب.

وفيما يتعلق بشرحه لكتاب الدعاء لابن خزيمة نبه على التزامه بتبويب وترتيب ابن خزيمة فصلاً فَصْلاً كما ذكر في قوله (٥٤): «ونحن نتبعه الآن تفسير الدعوات المأثورة فصْلاً فصلاً على نظم الكتاب وترتيبه بعون الله وتوفيقه» .

وعدم وضع العناوين المفردة - وإن لم يكن منتقداً في نظره، وعند أهل عصره - حيث جرى على ذلك في التأليف، فإن الأولى منه الالتزام بذكر العناوين المفردة في كل باب من الكتاب تيسيرًا للقراء في الانتفاع بالكتاب، والوصول إلى المراد دون عناء وكثرة مراجعة في الكتاب، ويشكر محقق الكتاب بوضعه عناوين جانبية (في أعلى كل صفحة) .

٥ - **السبب الباعث على تأليفه** :

بين الخطابي السبب الباعث على تأليفه للكتاب في مقدمته بأنه إجابة لطلب إخوانه فقال (٥٥): «فإنكم سألتم إخواني - أكرمكم الله - عن الدعاء، وما معناه؟ وما فائدته؟ وما محله من الدين؟ وما موضعه من العبادة، وما حكمه في باب الاعتقاد؟ وما الذي يجب أن ينوي الداعي بدعائه؟ وما يصح أن يدعا به من الكلام مما لايصح منه... إلى سائر ما يتصل به من علومه وأحكامه، ويستعمل فيه من سننه وآدابه، وطلبتم إلي ذلك : أن أفسر لكم ما يُشكل من ألفاظ الأدعية المأثورة - عن النبي ﷺ التي جمعها إمام أهل الحديث - محمد بن إسحاق بن خزيمة - رحمه الله ورضي عنه - ثم ختم المقدمة بقوله : وقد فعلت - أكرمكم الله - من ذلك ما تيسر لي، وبلغه علمي، وتوخيت فيه الإيجاز والاختصار نفعنا الله وإياكم بمنه . أ هـ .

٦ - **عرض مضامين الكتاب** :

ابتدأ الخطابي كتابه «**شأن الدعاء**» بعد البسملة بمقدمه وجيزة ضمنها حمد الله تعالى - الذي أمر بالدعاء، وجعله وسيلة الرجاء .. وأنطق الألسن بذكره لتستمر على إظهار عبوديته .. ثم بين فيها سبب تأليفه الكتاب فقال :

«فإنكم سألتم - إخواني أكرمكم الله - عن الدعاء، ومعناه وفائدته، وما محله من الدين و ...» ثم قال: «وطلبتم إلى ذلك أن أفسر لكم ما يشكل من ألفاظ الأدعية المأثورة عن النبي - ﷺ - التي جمعها إمام أهل الحديث : محمد ابن إسحاق بن خزيمة - رحمه الله» .

وختم المقدمة بقوله : «وقد فعلتُ - أكرمكم الله - من ذلك ما تيسر لي ، وبلغه علمي، وتوخيت فيه الإيجاز، والاختصار، نفعنا الله وإياكم بمنه . أ هـ» .

ثم بدأ ببيان معنى الدعاء في اللغة وفي اصطلاح الشرع. فقال : إنه استدعاء العبد ربه - عز وجل - الغاية واستمداده إياه المعونة، وأما حقيقته فهي : إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهي سمة العبودية واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله - عز وجل - وإضافة الجود والكرم إليه.

ثم ذكر مذاهب العلماء في الدعاء، حيث قال قوم : لامعنى للدعاء ولا طائل له لأن الأقدار سابقة والأقضية متقدمة . وقالت طائفة: إن الدعاء واجب وهو يدفع البلاء ويرد القضاء. وقال آخرون: الدعاء واجب؛ إلا أنه لا يستجاب منه إلا ما وافق القضاء .

وقال: إن هذا القول الأخير هو الصحيح، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، ثم أجاب عن الأقوال السابقة .

ثم بعد ذلك تناول المؤلف شرائط صحة الدعاء، وأتبعها بما يكره في الدعاء .

وبعد الفراغ مما سبق شرع المؤلف في شرح كتاب الدعوات لابن خزيمة، فابتدأ أولاً بتفسير حديث أسماء الله الحسنى الذي رواه ابن خزيمة في المأثور من الدعوات . ويبدو أن تقديم الخطابي لهذا الحديث راجع لشرف متعلقه وهو أسماء الله الحسنى، أو لبدء ابن خزيمة به، أو لكلا الأمرين معًا.

فشرح كل اسم من أسمائه - عز وجل - مُبَيِّنًا اشتقاقه اللغوي ومعناه، مستدلاً على ذلك بما ورد في الكتاب والسنة من الأدلة المتضمنة ذكر ذلك الاسم، وأحيانًا يستشهد بأقوال علماء اللغة العربية وببعض الأبيات الشعرية للدلالة على معنى أو اشتقاق اسم من أسماء الله الحسنى .

وهكذا استمر في شرح وتفسير أسماء الله الحسنى التي رواها ابن خزيمة في المأثور من الدعوات وعددها مئة

اسم، ثم أتبعها بأسماء أخرى لم ترد في خبر الأعرج عن أبي هريرة وبلغت عشرين اسمًا .

وختم الكلام عن أسماء الله الحسنى بفصل موجز، حذر فيه من أن يقاس على أسمائه سبحانه ماليس منها، أو يلحق بها مالم يُسَم الله به، بل ويجب التوقف. إلا فيما دل عليه الكتاب والسنة .

ثم لما فرغ من هذا المبحث قال : فهذا ما حضرني في تفسير الأسماء ومعانيها، ونحن نتبعه الآن : تفسير الدعوات المأثورة فصلاً فصلاً على نظم الكتاب وترتيبه بعون الله وتوفيقه. وبذلك ابتدأ في شرح أبواب كتاب الدعوات المأثورة، ويقصد بها: الأدعية التي يشرع أن يدعو بها المسلم على مختلف الأحوال في يومه وليلته - كدعاء النوم، والاستيقاظ، ودخول الخلاء والخروج منه، والأكل والشرب، ونحو ذلك .

فشرع في شرح ما أورده ابن خزيمة في كتابه - ونبه على أنه سيورد تلك الأحاديث بحسب ترتيب ابن خزيمة فصلاً فصلاً ، وقد بلغ عدد تلك الأحاديث أربعة وستين حديثًا - بحسب ترقيم المحقق - .

(ولما كان أصل كتاب ابن خزيمة مفقوداً فلا أجزم بأن تلك الأحاديث التي شرحها هي كل ما أورده ابن خزيمة في كتابه خاصة أن الإمام الخطابي جرى في شروحه الأخرى على أنه يتناول الأحاديث التي يرى أنها بحاجة إلى شرح من كل باب ويترك ما عداها ...) .

ثم أتبع تلك الأحاديث بلواحق من الأدعية التي لم يذكرها ابن خزيمة في كتابه فذكر الخطابي خمسة وثلاثين حديثًا شرحها كما شرح سابقاتها .

آراء المؤلف في الكتاب :

مما تميز به القرن الرابع، وما سبقه من القرون الثلاثة المفضلة وضوح شخصية المؤلف في كتابه، فلا يكتفون بمجرد النقل والجمع، بل إنهم يبدون آراءهم في كثير من المسائل .. فتجدهم يُرجحون ويستنبطون، ويجمعون بين الروايات، وينتقدون غيرهم ويتعقبونه بما يرون أنه هو الصواب ..

والإمام الخطابي واحد من هؤلاء العلماء الذي عرفوا بآرائهم واجتهاداتهم في مختلف مؤلفاته .. وهذا يدل بحق على وضوح شخصية الإمام الخطابي العلمية..

فقد ضَمّن كتابه «**شأن الدعاء**» عدداً من ترجيحاته، واختياراته، واستنباطاته، كما سأبين بتوفيق الله عز وجل .

ففيما يتعلق ببيان آرائه وترجيحاته :

نجده يذكر الخلاف حول عدد من المسائل، ويذكر أدلة كل فريق، ثم يرجح غالبًا ما يراه صوابًا. فعند عرضه لخلاف العلماء حول مشروعية الدعاء - وتقدم الكلام على ذلك في عرض مضامين الكتاب - وذكره لأدلة كل فريق قال بعد ذلك، وقال آخرون: «الدعاء واجب» إلا أنه لا يستجاب منه إلا ما وافق القضاء، وهذا هو المذهب الصحيح وهو قول أهل السنة والجماعة، وفيه الجمع بين الأخبار المروية على اختلافها والتوفيق بينها (٥٦)، وحين بيانه لمعنى من أحصاها في حديث الأسماء الحسنى قال وفي الإحصاء أربعة أوجه:

أحدهما: وهو أظهرها - **الإحصاء الذي هو بمعنى العَدّ** (٥٧) ...

وعند تفسيره لمعنى «الصمد» قال وأصح هذه الوجوه ما شهد له معنى **الاشتقاق** (٥٨)، وعند تفسيره لقوله تعالى **﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾** (٥٩) قال: إنها نزلت في الوليد بن المغيرة، والمعنى ذَرْني ومن خلقته وحيداً فرداً فقيراً، وقال بعضهم: ذرني ومن خلقته وحدي - والأول أصوب القولين (٦٠) .

وعند تفسيره لمعنى لاحول، قال: وقد روي عن ابن مسعود أنه قال في تفسيره: **لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله** ..

ثم قال الخطابي : وهذا أحسن ما جاء فيه (٦١).

وعند روايته وتفسيره لحديث: «... وأعوذ بك من... سوء الكِبَر» (٦٢)، قال وقد رواه بعضهم من سوء الكِبْر - ساكنة الباء - من كِبر النخوة، والصواب هو الأول (٦٣)؛ يعني بفتح الباء .

ويكتفي أحيانًا بذكر قوله دون ذكره لأقوال غيره، فتجده في تفسير كثير من الأسماء الحسنى يذكر

قولاً واحداً فقط يدل على رأيه كما في تفسيره: للمصور (٦٤)، والقهار (٦٥)، والعظيم (٦٦)، والواجد(٦٧)، والمتعالي (٦٨)، والكافي (٦٩)، والدائم (٧٠).

وكذلك في تفسيره لعدد من المفردات اكتفى بقولٍ واحدٍ. كما في تفسيره للفطرة قال هي: ابتداء الخلقَة (٧١)، وكذلك تفسيره للكسل والعجز (٧٢)، والمراد بزنَة عَرشه (٧٣)، ووعثاء السفر (٧٤)، والعَيْمَة ، وهي شدة الشهوة للبن، والغيمة الشهوة للحم، والأيمة طول التعزب فلا يجد نكاحاً (٧٥)، ومعنى التوبة عنده: عود العبد إلى الطاعة بعد المعصية (٧٦) وغيره .

وأحياناً يجزم بعدم القول بذلك الرأي، فمثلاً عندما روى قول مجاهد : «لا يقولن أحدكم جاء رمضان وذهب رمضان، فلعله اسم من أسماء الله» قال الخطابي : وهذا شيء لا أعرف له وجهًا بحال، وأنا أرغب عنه، ولا أقول به (٧٧) .

ومثل قوله (٧٨) : فأما من ذهب إلى إبطال الدعاء، فمذهبه فاسد ؛ وذلك أن الله سبحانه أمر بالدعاء وحض عليه فقال : ﴿وقال ربُّكم ادعوني أستجب لكُم﴾ (٧٩) .

ومن آرائه القيمة حثه على وجوب الإعراب في الأدعية، إذ هو عماد الكلام، وبه يستقيم المعنى وبعدمه يختل ويفسد، وربما انقلب المعنى باللحن حتى يصير كالكفر، إن اعتقده صاحبه، كدعاء من دعا أو قراءة من قرأ ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ بتخفيف الياء من إياك. فإن الأيا: ضياء الشمس، فيصير كأنه يقول: شمسك نعبدُ، وهذا كفر ... إلخ ما ذكره (٨٠) .

ومما ارتآه – رحمه الله – التحذير من كتاب اسمه «الألف اسم» فيه أدعية منكرة، وأسماء ما أنزل الله بها من سلطان، وقد صنعها لهم بعض المتكلفين من أهل الجهل، والجرأة على الله عز وجل، أكثرها زُورٌ وافتراءٌ على الله عز وجل، فليتجنبها الداعي، إلا ما وافق منها الصواب – إن شاء الله تعالى (٨١) .

كذلك التحذير من دعاء الله بقول يا برهان، ويا غفران، ويا سلطان وما أشبه ذلك لأنها من المستهجن المهجور الذي لا قدوة فيه (٨٢) ... إلخ .

وقال أيضاً : ولا أستحسن التسمية بـ «عبد الوحيد» كما أستحسنها بـ «عبد الواحد» و«عبد الأحد» (٨٣) ...

وكذلك نهى عن التسمي بـ «عبد المطلب» لأنه اسم جاهلي، ولا عبرة بمذاهب أهل الجاهلية (٨٤) .

وأبدى المؤلف رأيه في عدد من مسائل العقيدة، سأذكرها في مميزات الكتاب، ومن أهمها مسألة عدم جواز القياس على أسماء الله تعالى (٨٥) وموقف الدعاء من القضاء والقدر (٨٦)، والكلام على صفتي : العلو (٨٧)، والعلم (٨٨) ، والكلام على عرش الرحمن سبحانه (٨٩) ... وغيرها، وحذر من أن يظن من لا علم له أن الدهر من أسماء الله سبحانه، وذلك مما لا يجوز ولا يَسُوغُ توهمه (٩٠) .

فجمع الخطابي بين هذين القولين بقوله: وقال آخرون: الدعاء واجب، إلا أنه لا يستجاب منه إلا ما وافق القضاء، وهذا المذهب هو الصحيح وهو قول أهل السنة والجماعة، وفيه الجمع بين الأخبار المروية على اختلافها، التوفيق بينها. أ. هـ .

موارد الكتاب :

استقى الإمام الخطابي مادة الكتاب العلمية من مصادر عديدة ، أهمها :

١- مروياته المسندة التي رواها عن شيوخه، خاصة في الحديث، واللغة العربية فيورد ما رواه عنهم من أحاديث أو آثار يسندها عنهم إلى الرسول ﷺ أو أحد الصحابة، أو التابعين، ويورد أيضاً ما سمعه من شيوخه من آراء علمية تتعلق بمسائل الحديث أو الفقه أو اللغة، أو أقوال لهم، أو ما رووه من أبيات شعرية .

وللوقوف على ذلك يراجع فهرس الأعلام (٩١) في نهاية الكتاب ليرى القارئ الإحالات العديدة عند أسماء بعض شيوخ الخطابي كأحمد بن محمد بن زياد الأعرابي، وأبو عمر محمد بن عبدالواحد «غلام ثعلب».

٢- نقل الخطابي كثيراً من كتابه «غريب الحديث» وصرح بالعزو إليه بقوله: وقد فسرناه في غريب الحديث (٩٢) . وينقل أحياناً من كتابه «غريب الحديث» دون عزوٍ له (٩٣) .

٣ – وصرح الخطابي بالنقل من أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ت ٢٢٤ هـ ، في كتابه «**غريب الحديث**» .
فقال (٩٤) : قال أبو عبيد(٩٥)، **الطَبَعُ : الدَّنَسُ والعَيْبُ ... إلخ** .
ونقل عنه ضبط كلمة الخُبْث(٩٦) ، فقال: ورواه أبو عبيد من الخُبْث – ساكنة الباء – وقال (٩٧) : معناه ذو الخبث.
وتتبع محقق الكتاب المواضع التي نقل منها الخطابي من أبي عبيد فعزاها إليه (٩٨) .

٤ – نقل الخطابي كثيرًا مما يتعلق بشرح أسماء الله الحسنى من كتاب «**تفسير أسماء الله الحسنى**» للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن السَري الزَّجاج – المتوفى سنة ٣١١هـ .
وصرح مرة بذلك فقال (٩٩) : الرقيب: قال الزجاج (١٠٠): الرقيب الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء. وتتبع محقق شأن الدعاء المواضع التي نقل منها الخطابي من كتاب الزجاج فعزاها إليه مشكورًا(١٠١).

٥ – ونقل الخطابي من الإمام أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي ت ٢١٠هـ، في كتابه «مجاز القرآن» .
قال الخطابي (١٠٢): قال أبو عبيدة(١٠٣): الله أكبر معناه الله كبير، وأنشد للفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا
بيتاً دعائمه أعز وأصول

أي: عزيزة طويلة . أ هـ .
ونقل عنه أيضًا في مواضع أخرى (١٠٤) .

٦ – ونقل عن الإمام أبي العباس محمد بن يزيد المُبرد ت ٢٨٦هـ ، في كتابه «**الكامل**» قولاً يتعلق بمعنى: الله أكبر (١٠٥) .
ونقل عنه أيضًا مسألة تتعلق بدخول الواو في قوله وبحمدك (١٠٦) .

٧ – ونقل عن إمام النحاة أبي بشر عَمرو بن عثمان بن قُنبر المعروف «بسيبويه» ت ١٨٠هـ ، في «**الكتاب**» قوله في المراد بلفظ الجلالة من أنه: اسم مشتق، وكان في الأصل إله مثال: فعَال (١٠٧) .

٨ – ونقل عن الإمام أبي زكريا يحيى بن زياد الفَرّاء ت ٢٠٧هـ ، في كتابه «**معاني القرآن**» (١٠٨) .
هذا ما تيسر، ولقد نقل الإمام الخطابي عن أئمة آخرين كالخليل بن أحمد الفراهيدي، والإمام الأصمعي، والإمام أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، وأبي الهيثم الرازي، والإمام ثعلب نقل عنه كثيرًا بواسطة تلميذه محمد بن عبدالواحد أبو عمر الزاهد المعروف بغلام ثعلب ... وغيرهم.
ولكني لم أقف على مكان أقوالهم في مؤلفاتهم .

٩ – ومن مصادره الحديثية – إضافة لمروياته عن شيوخه – الرواية عن طريق بعض الأئمة أصحاب المصنفات الحديثية ، فلقد روي عن طريق الإمام مالك بن أنس (١٠٩) .
وروي من طريق عبدالرزاق بن همام الصنعاني(١١٠)، ومن طريق الحُميدي (١١١) برواية بشر بن موسى – وهي الرواية المطبوعة من الكتاب – ومن طريق أبي داود السِجستاني (١١٢) من رواية ابن الأعرابي وهي إحدى الروايات المشهورة لسنن أبي داود .

مميزات الكتاب :

١ – يعدّ كتاب «**شأن الدعاء**» مرجعاً مهماً فيما يتعلق بالدعاء وأحواله وأنواع الأدعية والأذكار.
٢ – حوى الكتاب مادةً علمية قيمة، تتعلق بشرح أسماء الله الحُسنى بتوسع مفيد يُجلي معانيها، ويوضح المراد بها.
٣ – يعدّ الكتاب مصدرًا أصليّاً من مصادر التخريج فيما رواه المؤلف بإسناده.
٤ – أبدى المؤلف رأيه في عدد من مسائل الكتاب ترجيحًا وتصويبًا . كما تقدم الكلام على ذلك فيما يتعلق بآراء المؤلف واستنباطاته .
٥ – اشتمل الكتاب على ثروة لغوية ذات فنون متعددة.
منها ما يتعلق بشرح المفردات والعبارات الغريبة الواردة في أحاديث الكتاب .
ومنها ما يتعلق بعناية المؤلف بالتأصيل الصرفي، وبيان الاشتقاق اللغوي للأسماء المذكورة .
ومنها ما يتعلق بعناية المؤلف بأسلوب الحصر اللغوي

ومن ذلك قوله : لم يأت من الأسماء على فُعُّول (بضم الفاء) إلا قُدّوس وسُبّوح (١١٣)، وقوله: لم يأت مفيعل في غير التصغير إلا في ثلاثة أحرف : مسيطر، ومبيطر، ومهيمن (١١٤) . ومنها ما يتعلق باهتمامه بالأضداد من الأسماء، ويراد به اتفاق كلمتين في الخط مع اختلاف المعنى، ومن ذلك تفريق المؤلف بين كلمة حِلْم وهي الصفح والأناة، وحُلْم وهو ما يكون في النوم (١١٥) .

وتفريقه في معنى الجَد وأنه يراد به المال، أو يراد به الحظ والبخت، وقد يراد به الجلال والعظمة (١١٦)، كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا ﴾ (١١٧) .

ومن عنايته بالفروق بين الألفاظ قوله: فالغَفُور الذي يغفر الذنوب في الآخرة، والغَفّار الستار لذنوب عباده في الدنيا (١١٨)، ولفظ المسيح يطلق ويسمي به عيسى عليه السلام لأنه كان إذا مسح ذا عاهة برأ . ويسمى به الدجال لأنه مَمْسوح إحدى العينين (١١٩) .

ومنها عنايته بإصلاح غلط المحدثين فيما يروونه على غير وجهه .

٦– ضم الكتاب بين دفتيه عددًا كبيرًا من الأبيات الشعرية وبعض أمثال العرب، التي استدل بها المؤلف في تفسيراته اللغوية، وللوقوف عليها يراجع الفهرس الذي ذكره المحقق في ذيل الكتاب، فهرس القوافي (١٢٠)، وفهرس الأقوال والأمثال (١٢١) .

٧– تضمن الكتاب عددًا كبيرًا من المسائل المتعلقة بالعقيدة حيث تناول موقف الدعاء من القدر (١٢٢)، وحكم الحلف بالدَّيّان (١٢٣) والنهي عن سب الدهر (١٢٤)، وعدم جواز القياس على أسماء الله عز وجل (١٢٥)، وتنزيه الباري عن صفات النقص (١٢٦)، والكلام عن علم الله عز وجل (١٢٧) وعن علوه سبحانه (١٢٨)، وعن عرشه(١٢٩)، وعدم جواز إضافة المساوئ إليه (١٣٠)، وأنه لا يجوز أن يتوهم أن الله تعالى نور من الأنوار.. فإن النور تضاده الظلمة وتعاقبه فتزيله وتعالى الله أن يكون له ضدٌ أو ندٌ، وإنما هو خالقُ النور وموجِدِه سبحانه (١٣١).

وأنه قريب بعلمه من خلقه (١٣٢) ، وأن النَّفع والضُرَّ والخَير والشَّر مصدرها جميعًا من لدن الله عز وجل (١٣٣) .

٨– وتضمن الكتاب تفسيرًا لعدد كبير من الآيات القرآنية لا سيما المتعلقة بالأسماء الحسنى (١٣٤) .

٩– وتضمن الكتاب أيضًا – عبارات يسيرة – تتعلق بإعجاز القرآن، حيث يعنى بهذا كثيرًا، فقد أفرد له مؤلفًا خاصًا كما سبق. وذلك عند شرح المؤلف لحديث «أفضل الكلام أربع هن من القرآن، ولسن بقرآن : سبحان الله.. الحديث» (١٣٥) . فقال (١٣٦) : يريد بقوله «هُنّ من القرآن» أن هذه الكلمات موجودة في القرآن، وليست بقرآن من جهة النظم، فيكون آية متلوة، وهذا يدل على أن إعجاز القرآن إنما هو في لفظه ونظمه معنًى، لا في لفظه فحسب». أ . هـ .

ومن أراد مزيد تفصيل عن هذا فليراجع كتاب «**بيان إعجاز القرآن**» للخطابي .

١٠– وكذلك تضمن الكتاب الرد على أهل الكلام بأسلوبهم الكلامي فيما يتعلق بفائدة الدعاء إذا كان لا يدفع ضررًا، ولا يجلب نَفْعًا (١٣٧) .

١١– لم يهمل الخطابي جانب النصح والتوجيه بل اهتم به في كتابه، وذكر عددًا من التوجيهات في بعض المواضع ومن ذلك قوله (١٣٨) :«وقد يحتمل أن يكون قول المصلي "الله أكبر" وهذا كأنه يقول "الله أكبر من كل شيء" وقَدّم هذا القول أمام أفعال الصلاة تنبيهًا للمصلي كي يخطر بباله عند قيامه إلى الصلاة فلا يشغل خاطره بغيره، ولا يعلق قلبه بشيء سواه» .

وقال (١٣٩) : إن أكل الحلال يَصْلُح عليه القلب، وتحسن معه الأخلاق، وأكل الحرام يَفْسُد عليه القلب، وتَخْبُث معه الأخلاق .

وقال عند شرحه لقول علي – رضي الله عنه – «سَل الله الهُدى»، وأنت تعنى بُهدَاك هداية الطريق، وسل الله السَّداد، وأنت تعني بذلك سَداد السهم (١٤٠) .

فأمر الداعي إذا سأل الله السداد أن يخطر بباله صفة هذا السهم المسدد..

وكذلك هذا المعنى في طلب الهدى، جعل هداية الطريق مثلاً له، إذ كان الهداة لا يَجُورون عن القَصد،

ولا يعدلون عن المَحَجَّة، إنما يركبون الجادة فيلزمون نهْجَها، ويقول: فليكن ما تَؤمه من الهدى، وتسلكه من سبيله كذلك[١٤١] .

١٢- حلّى المؤلف كتابه بذكر بعض من أخبار السلف وأقوالهم ونتف من طرائف العرب وأيامهم ... ومن ذلك ذكره لخبر هدم قريش للكعبة[١٤٢]، وولادة عبدالمطلب جَدِ الرسول ﷺ[١٤٣] وما رواه مُسندًا إلى الأصمعي أنه مرَّ برجل يقول في دعائه : «يا ذو الجلال والإكرام» فقال له ما اسمك؟ فقال : ليث، فأنشد يقول :

ينادي ربه باللحن ليثٌ

لذاك إذا دعاهُ لا يُجيب[١٤٤]

«وما رواه مسندًا إلى ابن السماك أنه دخل على هارون فقال له عظني؟ فقال : يا أمير المؤمنين أرأيت إن مُنعت شربةَ ماءٍ عند العطش أكنت تَفْديها بنصف مُلْكك؟ قال : نعم، قال أرأيت إن مُنعتَ خُروجَها عند الحاجة أكنت تفديه بالشطر الآخر؟ قال: نعم ! قال : فما فَرحُك بشيء قيمتُه شَرْبَةٌ، وبَولة[١٤٥]، وغيرها[١٤٦] » .

طباعة الكتاب :

طبع الكتاب بدار المأمون للتراث بدمشق وبيروت عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م بتحقيق أحمد يوسف الدّقاق .

وسماه «**شأن الدعاء**» وجعله شاملاً لما يتعلق بشأن الدعاء، وذلك من ص١ إلى ص٢١. ثم شرح وتفسير أسماء الله الحسنى من ص٢٣ إلى ص١١٤.

ثم شرح كتاب الدعاء أو الدعوات لابن خزيمة من ص١١٥ إلى ص١٧٧. ثم لواحق الدعاء التي لم يذكرها ابن خزيمة من ص١٧٨ إلى ص٢٠٩. وبه انتهى الكتاب .

وقد ابتدأ المحقق الكتاب بمقدمة وافية، عرف فيها بالكتاب وأهميته، والمخطوطات التي اعتمد عليها في تحقيقه مع وصف دقيق لكل مخطوط، ثم أبان عن منهجه في التحقيق، وترجم بعد ذلك للإمام الخطابي من حيث عصره، ومنزلته بين العلماء، واسمه، وشيوخه، وتلاميذه، ومؤلفاته .

ثم بدأ تحقيق الكتاب.. ولقد بذل المحقق جهدًا طيبًا في إخراج الكتاب، والعناية بنصوصه من حيث عزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية، والأبيات الشعرية، وأقوال بعض الأئمة، وضبط النص وبيان المقارنات والفروقات بين النصوص في النسخ المختلفة. وحرص على عزو عدد من نقول المؤلف لمصادرها، كما بين بعض من نقل عن المؤلف . إضافة لبعض التعليقات والتصويبات القيمة .

وختم الكتاب بفهارس فنية متعددة للآيات، والأحاديث، والأسماء الحُسنى، والقوافي، والأمثال، والأماكن، والأعلام، والموضوعات، والمراجع. وهذا ما يسر الانتفاع بالكتاب والاستفادة منه .

هذا؛ ورغم ما ذكرته من جهد للمحقق، فإن لي بعض الملاحظات على ما قام به في تحقيق الكتاب، ولا أظنها تنقص من جهده ؛ بل تزيده صوابًا بإذن الله تعالى :

١ - عدم الدقة في استعمال مصطلح «أخرجه أو رواه» عند التخريج حيث إنهما يختصان غالبًا - فيما رواه صاحب الكتاب بإسناده . أما الكتب المحذوفة الأسانيد فيُعزى إليها بذكره أو أورده، أو نحو ذلك. فتجد المُحقق يخلط في استعمال هذا الاصطلاح، فيجعل رواه أو أخرجه شاملة للكتب الأصلية والفرعية معًا، ففي - ص١٤ قال في الحاشية .. وأخرجه الشيخ ناصر في صحيح الجامع الصغير .

وفي ص٢٧ قال رواه ابن الأثير في جامع الأصول..

وفي ص١٤٢ قال رواه الإمام النووي في الأذكار..

وفي ص٢٠٤ قال: رواه الهيثمي في الزوائد.. ورواه السيوطي في الفتح الكبير.. والجامع الصغير..

٢ - عدم الترتيب في عزو الحديث لمصادره فتجده يعزوه لمصدر أصلي ثم فرعي ثم يعود لأصلي آخر وهكذا.

انظر الأحاديث أرقام ١٨و ٣٥ و ٤٧ و ٥٠ و٧١ و ٨٩ و ١٠٢.

٣ - ذيل المحقق الكتاب بفهارس متعددة يشكر عليها، ولكن فات عليه في الفهارس ما يلي:

أ - حبذا لو فهرس الكلمات الغريبة التي شرحها

الخطابي ليستعين به القارئ في شرح الغريب، ويستفيد عند المقارنة بين هذا الكتاب وغريب الحديث للخطابي أو غيره، ومدى استفادته منها.

ب- سقطت بعض التراجم في فهرس الأعلام، ومنها ترجمة عبدالرحمن بن الأسد - ص١٨١.

جـ - لم يفهرس المحقق الأعلام الذين ورد ذكرهم في حاشية التحقيق .

د - سقطت أرقام بعض الصفحات في فهرس الأعلام، ومنها :

عند اسم أبي عبيدة سقط رقم ص٣٩، وعند اسم أحمد بن إبراهيم بن مالك سقط رقم٤٢، وأحمد بن عبدالحكيم الكُريزي سقط رقم ٣٦، وأحمد بن محمد الكُرّاني «أبو محمد» سقط رقم ١٤٢، ومحمد بن الحسين بن عاصم سقط رقم ٩٨، ومحمد بن عبدالواحد غُلام ثعلب - سقط رقم ٦١ و ١٢٦ واسم الإمام مالك ذكر أنه في ص٢٤ والصحيح أنه في ص٢٣. وعند ذكر اسم مكرم بن أحمد تركه بياضاً، وقد ورد اسمه في ص٢٣.

هـ - في فهرس المصادر لم يذكر كتاب «الأذكار» للنووي وقد نقل منه في ص١٤٢، «والتَّقصي» لابن عبدالله في ص٢٧ .

و - ولم يذكر أية معلومة عن ديوان جِران العَوْد، وسَرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، وغريب القرآن لابن قتيبة .

هذا ما تيسر لي من الكلام عن كتاب «شأن الدعاء» ولله الحمد والمنة...

الخاتمة :

في ختام هذا البحث أحمد الله العلي الكريم على توفيقه وسائر نعمه وأسأله جل وعلا أن ينفع بهذا البحث كل من قرأه أو اطلع عليه .

كما أعتذر عما فيه من ملاحظات أو أخطاء وعذري في ذلك بشريتي الضعيفة كما قال الإمام الخطابي في خاتمة مقدمة كتابه (غريب الحديث) :

«وكل من عثر فيه على حرف أو معنى يجب تغييره فنحن نناشده الله في إصلاحه، وأداء حق النصيحة فيه، فإن الإنسان ضعيف لا يسلم من الخطأ . إلا أن يعصمه الله بتوفيقه» أ . هـ .

هذا ما تيسر ذكره، وأسأل الله تعالى أن يرزقنا العلم النافع ... والعمل الصالح ... إنه سميع مجيب .

والله أعلم، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم ،،،

الهوامش والإحالات

١ - للاستزادة يراجع كتاب: **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع**، تأليف: آدم متز ترجمة محمد أبو ريدة. القاهرة سنة ١٣٦١ هـ .

٢ - للاستزادة عن ترجمته يراجع: **الوافي بالوفيات للصفدي** ٣١٧/٧ **وفيات الأعيان** لابن خلكان ٢١٥/٢، **والبداية والنهاية** لابن كثير ٣٢٤/١١، **ومعجم الأدباء** ٢٤٦/٤ .

٣ - يراجع : **طبقات الشافعية الكبرى** للسبكي ٢٨٢/٣، وللأسنوي ١ / ٤٦٧ ، ولابن قاضي شهبة ٩٥٦/١.

٤ - **يتيمة الدهر** للثعالبي ٣٣٤/٤.

٥ - مدينة في بلاد الأفغان بين هراة وغزنة وهي من أعمال كابل، وهي كثيرة الأنهار والبساتين. يراجع : **معجم البلدان** لياقوت ٤١٥/١، **والأنساب** للسمعاني ٢٠٨/٢.

٦ - **تذكرة الحفاظ** ١٠١٩/٣، **والسير** ٢٤/١٧، **والعبر** ١٧٤/٢.

٧ - **المنتظم** ٣٩٧/٦ .

٨ - **تهذيب الأسماء واللغات** ١٩٩/٤، **والترخيص بالقيام** ص٥٢، وشرح

مسلم ١/٢٧.
٩ - شذرات الذهب ٣/١٢٨ .
١٠- مناقب الإمام الشافعي ص٢٢٥ .
١١- طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/١٥٦ وللأسنوي ١/٤٦٧ وطرح التثريب للعراقي ١/٤٤.
١٢- مقدمة إملاء أبي طاهر السلفي لمعالم السنن ٤/٣٧٥.
١٣- انظر شأن الدعاء ، ص٩٨ وص٢٠ و٢١ .
١٤- كتاب الدعاء أو الدعوات لابن خزيمة يعد من الكتب المفقودة، كما ذكر ذلك أحمد يوسف الدقاق في مقدمة تحقيقه كتاب شأن الدعاء - ص٩، وقال: وَهِمَ من ظن: أن منه نسخة في المكتبة الظاهرية، فالذي فيها بشرح الخطابي لا الأصل مجرداً . أ هـ .
وقد ذكر المحقق أيضاً أن كتاب «الدعاء لابن خزيمة» غير كتاب الدعوات له، واستدل بأن ابن خزيمة قد روى حديثاً في كتاب التوحيد وقال خرجته في كتاب الدعاء ولم يوجد هذا الحديث في شأن الدعاء ولم يشرحه الإمام الخطابي .
قلت : والظاهر أنهما كتاب واحد، وأما ما استدل به المحقق فلا يكفي في إثبات اختلاف الكتابين بل يمكن أن يكون سببه اختلاف النسخ الخطية، حيث يذكر في واحدة ما ليس في الأخرى، ثم إن الخطابي لم يكن يشرح كل حديث أورده ابن خزيمة بل يشرح ما احتاج لشرح ويدل على ذلك قوله في ص١١٥ من باب ما يقول إذا أصبح .
١٥- وذكر المحقق في المقدمة أن الخطابي ألحق فصلاً سماه «لواحق الدعاء» بين شرح الأسماء الحسنى وباقي الكتاب، وواقع الكتاب أنه ليس فيه هذا العنوان في ذلك الموضع بل هي لواحق للأسماء الحسنى التي لم يروها ابن خزيمة في كتابه .
١٦- وفيات الأعيان ٢/٢١٤ .
١٧- معجم الأدباء ٤/٢٥٣ .
١٨- تاريخ الأدب العربي ٣/٢١٣ .
١٩- تاريخ التراث العربي ١/٤٢٨ .
٢٠- سورة الأعراف الآية ١٨٠ .
٢١- الوافي بالوفيات ٧/٣١٨ .
٢٢- معجم الأدباء ٤/٢٥٣ .
٢٣- فهرس ما رواه ابن خير الإشبيلي عن شيوخه ١/٢٠١ .
٢٤- المستدرك على معجم المؤلفين لكحالة ، ص٢٢١ .
٢٥- طبقات الشافعية ١/١٥٧ .
٢٦- هدية العارفين ٥/٦٨ .
٢٧- سير أعلام النبلاء ١٧/٢٩، تذكرة الحفاظ ٣/١٠١٩، العبر ٢/١٧٤.
٢٨- طبقات الشافعية ٢/٢١٨ .
٢٩- طرح التثريب ١/٤٤ .
٣٠- كشف الظنون ٢/١٠٣٢.
٣١- الوافي بالوفيات ٧/٣١٧ .
٣٢- معجم الأدباء ٤/٢٥٢ .
٣٣- معجم البلدان ٤/٤٤٤ .
٣٤- شأن الدعاء ، ص١١ و ٣٠ و٢٠٨ .
٣٥- المرجع السابق - ص١١٤ .
٣٦- انظر شأن الدعاء - ص٣ .
٣٧- المرجع السابق ، ص٢٠ و ٢١.
٣٨- السابق ، ص١١٤ .
٣٩- السابق ، ص١٧٨ .
٤٠- السابق ، ص٢٠٨ .
٤١- السابق ، ص١٧٧ .
٤٢- السابق ، ص٢٠٨.
٤٣- السابق ، ص٩٨ .
٤٤- النهاية في غريب الحديث ٢/٤٣٧ .
٤٥- الصحاح ٥/٢١٤٢ مادة (شأن) .
٤٦- لسان العرب ٢/٢٥٨ مادة (شأن) وانظر المعجم الوسيط ٢/٤٦٩ (شأن) .
٤٧- سورة يونس الآية ٦١ .
٤٨- الجامع لأحكام القرآن ٨/٣٥٦ .
٤٩- الكشاف ٢/٢٤٢ .
٥٠- تفسير كلام المنان ٣/٣٦٦.
٥١- سورة عبس الآية ٣٧ .
٥٢- تذكرة الحفاظ ٣/١٠١٩ .
٥٣- شأن الدعاء ، ص ٦ .
٥٤- المرجع السابق ، ص ١١٤ .

٥٥- مقدمة شأن الدعاء ص٢، ٣.

٥٦- ص ٨ .

٥٧- ص٢٦ .

٥٨- ص٨٥ .

٥٩- سورة المدثر الآية رقم ١١ .

٦٠- ص٨٤ .

٦١- ص١٦٢ .

٦٢- شطر من حديث طويل أخرجه مسلم في الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل رقم ٢٧٢٣ .

٦٣- ص١٢٢ وللاستزادة انظر ص٣٦ و ٣٧ و١٣٠ و١٣١ و١٥٦ وغيرها .

٦٤- ص٥١ .

٦٥- ص٥٣ .

٦٦- ص٦٤ .

٦٧- ص٨١ .

٦٨- ص٨٩ .

٦٩- ص١٠١ .

٧٠- ص١٠١ .

٧١- ص١١٦ .

٧٢- ص١١٩ .

٧٣- ص١٦٠ .

٧٤- ص١٨٠ .

٧٥- ص١٨٥ .

٧٦- ص١٠ .

٧٧- ص١٠٩ و ١١٠ .

٧٨- ص٨ .

٧٩- سورة غافر الآية ٦٠ .

٨٠- ص١٩ و٢٠ .

٨١- ص١٦ .

٨٢- ص١٧ .

٨٣- ص٨٣ .

٨٤- ص٨٤ و ٨٥ .

٨٥- ص١١١ - ١١٣ .

٨٦- ص٦ - ٨ .

٨٧- ص٦٦ .

٨٨- ص٦٣ و ١٠٢ .

٨٩- ص١٦٠ .

٩٠- ص١٠٨ .

٩١- شأن الدعاء - ص٢٣٧ .

٩٢- المرجع السابق ، ص١٧٨ وغريب الحديث للخطابي ٧٢٧/١ .

٩٣- شأن الدعاء ، ص٨ و ٢٣ و٢٩ و ٤٦ و ٥٩ و٦٠ و٧٥ و١٣١ و ١٣٣ و ١٣٤ و١٤٨ و١٥٤ و ١٥٩ و ١٦٦ و١٦٧ و١٧٨ و ١٨٧ و ١٨٨ و١٨٩ و١٩٠ و ١٩٢ و ١٩٩ و ٢٠٠ و٢٠١ و٢٠٢ و٢٠٧ .

٩٤- المرجع السابق ، ص١٧٠ .

٩٥- غريب الحديث لأبي عبيد ٢١٨/٢ و ٢١٩ .

٩٦- شأن الدعاء - ص١٤٠ و١٤١ .

٩٧- غريب الحديث لأبي عبيد ١٩٢/٢ .

٩٨- انظر مثلاً ، ص ٦١ و ١٤١ و١٥٨ و ١٦٥ و ١٦٧ و ١٧٠ و١٧١ و ١٨١ و ١٨٣ و ١٨٧ و١٩٠ و ١٩٥ و١٩٦ و ١٩٧ .

٩٩- شأن الدعاء - ص٧١ .

١٠٠- تفسير أسماء الله الحسنى ، ص٥١ .

١٠١- انظر شأن الدعاء - ص٢٣ و٢٦ و ٢٩ و ٣٣ و ٤٠ و ٥٣ و٦٠ و ٦٦ و ٦٩ و ٧١ و ٧٢ و٧٥ و ٨٢ و٨٣.

١٠٢- شأن الدعاء ، ص٦٧ .

١٠٣- مجاز القرآن - سورة الروم ١٢١/٢ والبيت في ديوان الفرزذق ٨٧٧/٢ .

١٠٤- شأن الدعاء ، ص٣٨ و٣٩ و١٩٨ و ١٩٩ .

١٠٥- المرجع السابق ، ص٦٧ والكامل ٦٩٦ و ٦٩٧ .

١٠٦- السابق ، ص١٤٣ .

١٠٧- السابق ، ص٣١ والكتاب لسيبويه ٣٠٩/١.

١٠٨- شأن الدعاء ، ص٤٣ و ٧٧ و١١٦ و ١٥٩، ومعاني القرآن . سورة هود ٢١/٢ . سورة البقرة ١٧٣/١.

١٠٩- انظر شأن الدعاء ، ص٢٣- ح١٦ .

١١٠- انظر شأن الدعاء ، ص٤٤ - ح٢٣، ومصنف عبدالرزاق باب الإيمان والإسلام - ج ١٣١/١١ رقم ٢٠١١٧ .

١١١- انظر شأن الدعاء ، ص٢٦ و ص١٠٨ وسند الحُميدي - ج ٢، ص١١٣ و١٠٩٦ .

١١٢- انظرشأن الدعاء ، ص٤ - ح ١، وسنن أبي داود كتاب الصلاة باب الدعاء - ج ١٦١/٢ رقم ١٤٧٩.

١١٣- ص٤٠ .

١١٤- ص٤٦ .

١١٥- ص٦٤ .

١١٦- ص١٥٨ .
١١٧- سورة الجن الآية (٣) .
١١٨- ص٦٥ .
١١٩- ص١٥٦.
١٢٠- ص٢٣١ .
١٢١- ص٢٣٤ .
١٢٢- ص ٦ - ٨ .
١٢٣- ص١٠٦ .
١٢٤- ص١٠٨ .
١٢٥- ص ١١٣ و ١١١ .
١٢٦- ص٦٢ .
١٢٧- ص٦٣ .
١٢٨- ص٦٦ .
١٢٩- ص١٦٠ .
١٣٠- ص١٥٣ .
١٣١- ص٩٥ .
١٣٢- ص١٠٢ .
١٣٣- ص١٥٩ .
١٣٤- انظر مثلاً ص ١٢ و ٢١ و ٦٤ و ٦٦ و ٦٨ و ٧٠ و ٧١ و ٧٣ و٧٥ و ٧٦ و ٨٥ و ١٠٠ و ١٢٥.
١٣٥- الحديث أصله في صحيح مسلم - دون قوله: هن من القرآن - كتاب الآداب - باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة رقم ٢١٣٧ .
١٣٦- ص٦١ .
١٣٧- ص٩ .
١٣٨- ص ٦٦ و ٦٧ .
١٣٩- ص١٤٧ .
١٤٠- أخرجه أحمد في **المسند** ١٣٤/١، والخطابي في **غريب الحديث** ٦٨٣/١ .
١٤١- ص١٩٣ .
١٤٢- ص ١٧ و ١٨ .
١٤٣- ص٨٤ .
١٤٤- ص ٢٠ .
١٤٥- ص١٤٢ .
١٤٦- للاستزادة انظر ص ١٦ و ١٢٩ و ١٤٩ و ١٩٧ و ٢٠٧ .

مراجع البحث

- **أحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام** / للإمام ابن دقيق العيد - ت ٧٠٢هـ، تعليق الشيخ / محمد حامد الفقي ، القاهرة : مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٤هـ .
- **إحياء علوم الدين** / للغزالي: أبي حامد محمد بن محمد - ت ٥٠٥هـ .- بيروت: دار الندوة الجديدة .
- **الأدب المفرد** / للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري - ت ٢٥٦هـ . راجعه وصححه: محمد هشام البرهاني، مطبوعات وزارة العدل بدولة الإمارات العربية المتحدة ، ١٤٠١هـ .
- **الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار**/ للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي - ت ٦٧٦هـ . مكتبة الرياض الحديثة .
- **أربعة كتب في التصحيح اللغوي**/ (للخطابي، وابن بري، وابن الحنبلي، وابن بالي). تحقيق حاتم صالح الضامن .- ط١.- بيروت: عالم الكتب، سنة ١٤٠٧هـ .
- **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري** / للإمام شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني - ت ٩٢٣هـ. المطبعة الأميرية ببولاق، بمصر ، الطبعة السابعة سنة ١٣٢٣ هـ .
- **الإصابة في تمييز الصحابة**/ للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - ت ٨٥٢هـ، وبهامشه الاستيعاب لابن عبدالبر - ت ٤٦٣هـ .- بيروت : دار الفكر، ١٣٩٨هـ .- بيروت : طبعة دار الكتب العلمية . مع الفهارس .
- **إصلاح غلط المحدثين** / لأبي سليمان الخطابي - تحقيق محمد علي عبدالكريم الرديني .- ط١ .- دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٧هـ. ونشره حاتم صالح الضامن ضمن كتاب (أربعة كتب في التصحيح اللغوي) ومستقلاً. .- ط٢ .- بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ .
- **الأعلام** / لخير الدين الزركلي - ت ١٣٩٦هـ .- ط٧ .- بيروت :

دار العلم للملايين، ١٤٠٦ هـ .

- **أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري** / لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي - ت ٣٨٨هـ . تحقيق سمو الأمير الدكتور / محمد بن سعد بن عبدالرحمن آل سعود ـ ط١ـ مكة المكرمة : جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ .

- **الأنساب** / لعبدالكريم بن محمد السمعاني - ت ٥٦٢هـ. تعليق/ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي - الهند: حيدر آباد الدكن، ١٣٨٣ - ١٣٨٦هـ .

- **بذل المجهود في حل أبي داود** /للعلامة خليل أحمد السهانفوري - ت ١٣٤٦هـ - تعليق الشيخ/ محمد زكريا الكاندهلوي ـ الرياض : دار اللواء.

- **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة** / مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي - ت ٨١٧هـ. تحقيق: محمد المصري ـ ط١ ـ الكويت : مركز المطبوعات والتراث، ١٤٠٧هـ .

- **تاج العروس من جواهر القاموس** / للإمام محمد المرتضي الزبيدي - ت ١٢٠٥هـ، صورة عن الطبعة الأولى ـ بيروت: مكتبة الحياة، سنة ١٣٠٦هـ.

- **تاريخ الأدب العربي** / لكارل بروكلمان - تعريب: عبدالحليم النجار ـ ط٥ ـ مصر: دار المعارف .

- **تاريخ الأمم والملوك** / للإمام أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري - ت ٣١٠ هـ - تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ـ بيروت: دار سويدان .

- **تاريخ الإسلام** / للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي - ت ٧٤٨هـ - تحقيق عمر عبدالسلام تدمري ـ ط١ـ بيروت: دار الكتاب العربي، سنة ١٤٠٩هـ.

- **تاريخ بغداد** / لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي - ت ٤٦٣ هـ ـ بيروت : دار الكتاب العربي.

- **تاريخ التراث العربي** / لفؤاد سزكين - تعريب محمود فهمي حجازي ـ الرياض: مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٣هـ .

- **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي** / للإمام السيوطي - ت ٩١١هـ - تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ـ ط٢ـ دار إحياء السنة النبوية، ١٣٩٩هـ.

- **تذكرة الحفاظ** / للإمام شمس الدين أبي عبدالله الذهبي - ت ٧٤٨ هـ - تصحيح عبدالرحمن المعلي - رحمه الله ـ بيروت : دار إحياء التراث العربي ١٣٧٤هـ.

- **تصحيفات المحدثين** / لأبي أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري - ت ٣٨٢هـ . تحقيق محمود ميرة ـ ط١ـ القاهرة : المطبعة العربية، ١٤٠٢هـ .

- **التطريف في التصحيف**/ للإمام جلال الدين السيوطي - ت ٩١١ هـ - تحقيق علي بن حسن البواب، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

- **تعليق التعليق على صحيح البخاري** / للحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ ، تحقيق سعيد عبدالرحمن القزقي ـ ط١ ـ بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥هـ .

- **تفسير القرآن العظيم** / للإمام أبي الفداء إسماعيل ابن كثير - ت ٧٧٤هـ ـ ط٢ ـ بيروت : دار المعرفة، ١٤٠٧ هـ .

- **تقريب التهذيب** / للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ـ ط٢ـ بيروت : دار المعرفة، ١٣٩٥هـ .

- **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**/ للحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني - تصحيح الشيخ عبدالله هاشم اليماني ـ المدينة المنورة : المكتبة السلفية، ١٣٨٤هـ .

- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**/ لأبي عمر يوسف بن عبدالله المعروف بابن عبدالبر القرطبي - ت ٤٦٣هـ تحقيق مصطفى العلوي وآخرين ـ طبع وزارة الأوقاف المغربية ، ١٤٠٤هـ وما بعدها .

- تهذيب الأسماء واللغات / للإمام محيي الدين النووي - ت ٦٧٦هـ بإشراف دار الطباعة المنيرية ٠- بيروت: دار الكتب العلمية .
- تهذيب التهذيب / للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - ت ٨٥٢ هـ ٠- ط١ ٠- الهند : دائرة المعارف النظامية ، ١٣٢٧هـ .
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال /للإمام جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي ت٧٤٢هـ ، تحقيق بشار عواد معروف ٠- ط١٠- بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ .
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن/ للرماني - ت ٣٨٦هـ والخطابي - ت ٣٨٨هـ والجرجاني ت ٤٧١ هـ تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ٠- القاهرة : دار المعارف، ١٣٧٤هـ .
- جامع الأصول في أحاديث الرسول / للإمام مجد الدين المبارك بن محمد ابن الأثير - ت ٦٠٦هـ - بتحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ٠- بيروت : نشر مكتبة الحلواني وغيرها، ١٣٨٩هـ .
- جامع بيان العلم وفضله / لأبي عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي - ٤٦٣ هـ ٠- ط٢٠- دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٢هـ .
- الجامع الصحيح / لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري - ت ٢٥٦هـ - ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي - نشره وراجعه في طبعته المجردة قصي محب الدين الخطيب ٠- ط١٠- القاهرة : المطبعة السلفية، ١٤٠٠هـ.
- جامع العلوم والحكم / للإمام زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن ابن رجب - ت ٧٩٥هـ ٠- القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، ١٣٨٢هـ .
- الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع/ للخطيب البغدادي - ت ٤٦٣ هـ - تحقيق محمود الطحان ٠- ط١٠- الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٣هـ .
- الجرح والتعديل / لأبي محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي - ٣٢٧هـ ٠- ط١ ٠- الهند : دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧١هـ.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب / لعبدالقادر ابن عمر البغدادي - ت ١٠٩٣هـ - تحقيق : عبدالسلام هارون ٠- القاهرة : مكتبة الخانجي، ١٤٠٦هـ .
- درء تعارض العقل والنقل / لشيخ الإسلام ابن تيمية - ت ٧٢٨هـ - تحقيق : محمد رشاد سالم - رحمه الله ٠- ط١ ٠- الرياض: مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٣٩٩هـ.
- الدراية في تخريج أحاديث الهداية / للحافظ ابن حجر العسقلاني - ٨٥٢هـ - تعليق عبدالله هاشم اليماني ٠- بيروت : دار المعرفة.
- الدرر الكامنة / للحافظ ابن حجر العسقلاني - ٨٥٢ هـ - دار الجيل .
- الرسالة المستطرفة / للعلامة محمد بن جعفر الكتاني - ت ١٣٤٥هـ - قدم لها وفهرسها: محمد المنتصر الكتاني ٠- ط٤ ٠- بيروت : دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٦هـ .
- الرسالة المغنية في السكوت ولزوم البيوت / للإمام أبي علي الحسن بن أحمد البغدادي - ت ٤٧١هـ - تحقيق عبدالله بن يوسف الجديع ٠- ط١ ٠- الرياض: دار العاصمة، ١٤٠٩هـ .
- رياض الصالحين / للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي - ت ٦٧٦ هـ - تحقيق عبدالعزيز رباح وأحمد الدقاق ٠- ط٤ ٠- دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠١هـ .
- زاد المسير في علم التفسير/ للإمام أبي الفرج عبدالرحمن ابن علي بن محمد ابن الجوزي - ت ٥٩٧ هـ ٠- ط٣ ٠- دمشق: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد / لابن القيم الجوزية - ت ٧٥١ هـ - تحقيق شعيب

الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط .- ط١٣ .- مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ .

- الزهد / للإمام هناد بن السري - ت٢٤٣هـ - تحقيق عبدالرحمن الفريوائي .- ط١ .- دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكتاب، ١٤٠٦هـ .

- **الزهد** / للإمام أحمد بن حنبل - ت ٢٤١هـ .- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ .

- **الزهد** / للإمام أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني - ت ٢٨٧ هـ . تحقيق عبدالعلي عبدالحميد، .- الهند: الدار السلفية، ١٤٠٣هـ .

- **سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام** / لمحمد بن إسماعيل الصنعاني - ت ١١٨٢هـ .- ط٢ .- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٤هـ .

- **سنن ابن ماجة** / لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني - ت ٢٧٥هـ - ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي .- القاهرة : مطبعة علي الحلبي، ١٣٩٢هـ .

- **سنن أبي داود** / للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني - ت ٢٧٥هـ ، تعليق وتخريج عزت عبيد دعاس وعادل السيد .- ط١ .- حمص : نشر محمد علي السيد ، ١٣٨٨هـ .

- **سنن الترمذي** / لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي - ت ٢٧٩هـ - تحقيق أحمد شاكر .- ط٢ .- القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٨هـ.

- **سير أعلام النبلاء** / لشمس الدين أحمد بن عثمان الذهبي - ت ٧٤٨هـ - أشرف على التحقيق شعيب الأرنؤوط .- ط٢ .- بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ .

- **السيرة النبوية** / لأبي محمد عبدالملك بن هشام - ت ٢١٣ هـ - تعليق طه عبدالرؤوف سعد .- القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية .

- **شأن الدعاء** / للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي - ت ٣٨٨ - تحقيق أحمد يوسف الدقاق .- ط١ .- دار المأمون للتراث، ١٤٠٤هـ .

- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** / لأبي العماد الحنبلي - ت ١٠٨٩ هـ .- بيروت : دار إحياء التراث العربي .

- **شرح السنة** / للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي - ت ٥١٦هـ - تحقيق شعيب الأرنؤوط (وشاركه حتى المجلد الخامس ؛ زهير الشاويش) .- ط٢ .- بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ .

- **شرح صحيح مسلم** / للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي - ت ٦٧٦ هـ .- ط٢ .- بيروت : دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ .

- **صحيح ابن خزيمة** / للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة - ت ٣١١هـ - تحقيق محمد مصطفى الأعظمي .- ط١ .- بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٥هـ .

- **صحيح مسلم** / للإمام مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري - ٢٦١ هـ - تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي .- بيروت : دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤هـ .

- **صفوة الصفوة** / للإمام عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي - ت ٥٩٧ هـ - تحقيق محمد فاخوري، ومحمد رواس قلعة جي .- حلب : دار الوعي، ١٣٨٩هـ .

- **الصمت وآداب اللسان** / للإمام أبي بكر عبدالله بن محمد ابن أبي الدنيا - ت ٢٨١هـ - تحقيق نجم عبدالرحمن خلف .- ط١ .- بيروت : دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٦هـ .

- **طبقات الشافعية** / لأبي بكر ابن أحمد بن قاضي شهبة - ت ٨٥١ هـ - اعتنى بتصحيحه وعلق عليه الحافظ عبدالعليم خان .- ط١ .- بيروت : عالم الكتب، ١٤٠٧هـ .

- **طبقات الشافعية** / لابن قاضي شهبة - تحقيق عبدالعليم خان .- الهند : حيدر آباد الدكن - دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٩هـ .

- **طبقات الشافعية** / لعبدالرحيم ابن حسن الأسنوي - ت ٧٧٢هـ - تحقيق عبدالله الجبوري .-

الرياض : دار العلوم، ١٤٠١هـ.

– **طبقات الشافعية الكبرى** / لتاج الدين أبي نصر عبدالوهاب ابن علي السبكي – ت ٧٧١هـ – تحقيق عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي ٠– ط١٠– القاهرة: مكتبة عيسى الحلبي، ١٣٩٤هـ.

– **طبقات الفقهاء الشافعية** / لمحمد بن أحمد العبادي – ت ٤٥٨هـ ٠– بغداد: مكتبة المثنى.

– **الطبقات الكبرى** / لابن سعد – ٢٣٠ هـ – دار بيروت ، ١٣٩٨هـ.

– **طرح التثريب في شرح التقريب** / للإمام زين أبي الفضل عبدالرحيم بن الحسين العراقي – ت ٨٠٦ هـ وأتمه ابنه أبو زرعة أحمد بن عبدالرحيم العراقي – ت ٨٢٦ هـ ٠– بيروت : دار إحياء التراث العربي .

– **العبر في خبر من غبر** / للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي – ت ٧٤٨ هـ – تحقيق أبي هاجر محمد السعيد زغلول ٠– ط١ ٠– بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ .

– **العزل** / لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي – ٣٨٨ هـ – تحقيق ياسين محمد السواس ٠– ط١٠– دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ .

– **العقد الفري** / لأحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي – ت ٣٢٨هـ – تحقيق محمد سعيد العريان ٠– بيروت : دار الفكر، ١٣٥٩هـ.

– **علل الترمذي الكبير** / لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي – ت ٢٧٩ هـ – ترتيب أبي طالب القاضي ؛ تحقيق حمزة ديب مصطفى ٠– الأردن: مكتبة الأقصى، ١٤٠٦ هـ .

– **علل الحديث** / لأبي محمد عبدالرحمن بن حاتم الرازي – ت ٣٢٧هـ ٠– بغداد: مكتبة المثنى.

– **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** / للإمام بدر الدين محمود بن أحمد العيني – ت ٨٥٥ هـ ٠– ط١٠– القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٢هـ .

– **عمل اليوم والليلة** / للإمام أحمد بن شعيب النسائي – ت ٣٠٣ هـ – تحقيق فاروق حمادة ٠– ط٢ ٠– بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ.

– **عون المعبود شرح سنن أبي داود** / للعلامة أبي عبدالرحمن محمد أشرف الصديقي العظيم آبادى ت – ١٣٩٩هـ – تعليق عبدالرحمن محمد عثمان ٠– ط٣ ٠– بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

– **عيون الأخبار** / لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري – ٢٧٦هـ ٠– بيروت: دار الكتاب العربي.

– **غريب الحديث** / لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي – ت٢٢٤هـ – تحت مراقبة محمد عبدالمعين خان – دائرة المعارف العثمانية ٠– ط١٠– الهند: حيدر آباد الدكن، ١٣٨٧هـ.

– **غريب الحديث** / لأبي محمد عبدالله بن قتيبة – ت ٢٧٦هـ – تحقيق عبدالله الجبوري ٠– بغداد: مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ.

– **غريب الحديث** / لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي – ت ٢٨٨هـ – تحقيق عبدالكريم إبراهيم العزباوي ٠– مكة المكرمة: مطبوعات جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ .

– **الفائق في غريب الحديث** / للإمام محمود ابن عمر الزمخشري – ت ٥٣٨هـ تحقيق علي البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم ٠– ط٢ ٠– القاهرة: مطبعة الحلبي، ١٣٩١هـ .

– **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**/ للحافظ ابن حجر العسقلاني – ت٨٥٢هـ – حقق الأجزاء الثلاثة الأولى عبدالعزيز ابن عبدالله ابن باز، ورقمه محمد فؤاد عبدالباقي وصححه محب الدين الخطيب ٠– ط٣ ٠– القاهرة: المكتبة السلفية، ١٤٠٧هـ .

– **الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد ابن حنبل الشيباني** / للشيخ أحمد عبدالرحمن البنا الساعاتي – ت ١٣٧٨هـ ٠– القاهرة : دار الحديث.

– **فتح المغيث بشرح «ألفية الحديث للعراقي»** / لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي – ت ٩٠٢هـ ٠– ط١ ٠–

بيروت: الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

- **القاموس المحيط** / لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي - ت ٨١٧ هـ - تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة .- ط١ .- بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ.

- **قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة**/ للإمام جلال الدين السيوطي - ت ٩١١هـ - تحقيق خليل الميس - ط١.- بيروت : دمشق: المكتب الإسلامي، عام ١٤٠٥هـ .

- **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة** / للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي - ت ٧٤٨ هـ - تحقيق عزت علي عيد عطية وموسى محمد علي الموسى .- ط ١ .- القاهرة : دار الكتب الحديثة، ١٣٩٢هـ .

- **الكامل في التاريخ** / لعزالدين علي بن محمد ابن الأثير - ت ٦٣٠ هـ .- بيروت : دار صادر، ١٣٨٦هـ .

- **الكامل في اللغة والأدب** / لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد - ت ٢٨٥ هـ - تحقيق محمد أحمد الدالي .- ط١ .- بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ .

- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** / لمصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة - ت ١٠٦٧هـ .- بيروت : دار الفكر، ١٤٠٢هـ .

- **الكفاية في علم الرواية** / لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي - ت ٤٦٣ هـ .- بيروت: المكتبة العلمية .

- **لسان العرب** / لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور - ت ٧١١ هـ - ترتيب يوسف خياط ونديم مرعشلي .- بيروت : دار لسان العرب .

- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** / للحافظ نور الدين علي ابن أبي بكر الهيثمي - ت ٨٠٧ هـ .- ط٣ .- بيروت : دار الكتاب العربي، ١٤٠٢هـ .

- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية** / جمعها الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وابنه محمد .- ط١ .- الرياض: ١٣٨٢هـ .

- **المحلى** / لابن حزم: أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد - ت٤٥٦هـ تحقيق أحمد محمد شاكر .- بيروت : دار الفكر .

- **مختار الصحاح** / لزين الدين محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي - ت ٦٦٦ هـ .- بيروت : دار الكتاب العربي، ١٤٠١هـ .

- **مختصر سنن أبي داود (ومعه معالم السنن للخطابي وتهذيب ابن القيم)** / لأبي محمد عبدالعظيم ابن عبدالقوي بن عبدالله المنذري ت ٦٥٦ هـ - تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي .- بيروت: دار المعرفة .

- **المستدرك على الصحيحين** / لأبي عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم النيسابوري - ت ٤٠٥هـ وبذيله تلخيص المستدرك للذهبي - ت ٧٤٨هـ .- بيروت: دار الكتب العلمية.

- **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ت ٢٤١ هـ / .- ط٤ .- بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ .

- **مسند الإمام عبدالله بن المبارك** ت ٢٤١هـ / تحقيق صبحي السامرائي .- ط١ .- الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٧هـ .

- **مسند الحميدي** / لأبي بكر عبدالله الحميدي - ت ٢١٩ هـ - تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي .- بيروت : عالم الكتب .

- **مسند الطيالسي** / لأبي داود الطيالسي - ت ٢٠٤ هـ .- بيروت: دار المعرفة.

- **مصابيح السنة** / للإمام ركن الدين أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي - ت ٥١٦ هـ تحقيق يوسف المرعشلي ومحمد سمارة وجمال الذهبي .- ط١.- بيروت : دار المعرفة، ١٤٠٧هـ .

- **المصباح المنير**/ لأحمد بن محمد بن علي الفيومي - ت ٧٧٠هـ .- بيروت: المكتبة العلمية.

- **المصنف** / للإمام عبدالرزاق الصنعاني - ت ٢١١ هـ -

تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي – ط٣ – دمشق: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ .

- **المصنف في الأحاديث والآثار**/ لأبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة – بعناية مختار الندوي – الهند : الدار السلفية، ١٤٠٠هـ.
- **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**/ للحافظ ابن حجر العسقلاني – ت ٨٥٢هـ – تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي – بيروت : دار المعرفة .
- **معالم السنن شرح سنن أبي داود** / للإمام أبي سليمان حمد ابن محمد الخطابي – ت ٣٨٨هـ – ط٢ – بيروت: نشر المكتبة العلمية، ١٤٠١هـ .
- **معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)**/ لياقوت الحموي – ت ٦٢٦ هـ – ط٣ – دار الفكر، ١٤٠٠هـ .
- **معجم البلدان** / لياقوت الحموي – بيروت : دار صادر، ١٣٩٩هـ .
- **معجم مقاييس اللغة** / لأبي الحسين أحمد بن فارس – ت٣٩٥هـ. تحقيق عبدالسلام هارون – دار الفكر، ١٣٩٩هـ .
- **معجم المؤلفين** / لعمر رضا كحالة – بيروت : دار العلم .
- **المعجم الوسيط** / إخراج إبراهيم أنيس وآخرين بإشراف مجمع اللغة العربية بمصر – ط٢ – بيروت : دار إحياء التراث العربي.
- **المغني**/ للإمام أبي محمد عبدالله ابن أحمد بن قدامة – ت ٦٢٠هـ بتحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي وعبدالفتاح الحلو – ط١ – القاهرة : دار هجر للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ .
- **مقدمة ابن الصلاح** /لأبي عمرو عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري – المشهور بابن الصلاح ت ٦٤٢ هـ – بيروت : دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ .
- **مناقب الشافعي** / للإمام أبي بكر بن الحسين البيهقي – ت ٤٥٨هـ – تحقيق السيد أحمد صقر – القاهرة : دار التراث .
- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** / لأبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي – ٥٩٧ هـ – الهند : حيدر أباد، ١٣٩٥هـ .
- **الموطأ** / للإمام مالك بن أنس – ت ١٧٩هـ – ترقيم وتعليق محمد فؤاد عبدالباقي – القاهرة: طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** / لأبي عبدالله محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبي – ت ٧٤٨هـ – تحقيق : علي محمد البجاوي – بيروت : دار المعرفة.
- **نصب الراية لأحاديث الهداية** / للإمام جمال الدين يوسف بن عبدالله الزيلعي – ت ٧٦٢هـ – ط٢ – الهند : نشر المجلس العلمي، ١٣٥٧هـ.
- **النفح الشذي في شرح جامع الترمذي**/لابن سيد الناس : أبي الفتح محمد بن محمد اليعمري – تحقيق أحمد معبد عبدالكريم – ط١ – الرياض: دار العاصمة، ١٤٠٩هـ .
- **النهاية في غريب الحديث والأثر** / للمبارك ابن محمد ابن الأثير – ت ٦٠٦هـ – تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي – القاهرة : دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٣هـ .
- **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار** / لمحمد بن علي محمد الشوكاني – ت ١٢٥٠هـ – القاهرة : مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩١هـ .
- **هدية العارفين** / لإسماعيل باشا البغدادي – ت ١٣٣٩هـ – بيروت : دار الفكر، ١٤٠٢هـ .
- **الوافي بالوفيات** / لخليل ابن أيبك الصفدي – ت ٦٧٤هـ – إشراف : جمعية المستشرقين الألمانية ؛ طبع في – بيروت، ١٣٨١هـ .
- **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**/ لأبي العباس أحمد ابن خلكان – ت ٦٨١هـ – تحقيق إحسان عباس – بيروت : دار صادر .
- **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر** / لأبي منصور عبدالملك الثعالبي – ت ٤٢٩ هـ – تحقيق محمد مفيد قميحة – ط١ – بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ .

فصول حول الطفل والقراءة

محمد بسام ملص
عمان - الأردن

يوسف، عبدالتواب/ فصول حول الطفل والقراءة.- عمان: دار يمان، ١٩٩٢م.

تقديم لا يستطيع مهتم في مجال ثقافة الطفل أن ينكر الجهد الذي بذله مؤلف كتاب «فصول حول الطفل والقراءة»، وهو يدل على اهتمام كبير يوليه منذ سنوات طويلة، والمتأمل في عديد من الأمور المطروحة فيه عن الطفل والقراءة يقدّر أهميتها وأهمية أن يستفيد منها المربون في ديار الإسلام في تربية النشء وحثّهم على القراءة. ورغم قيمة الكتاب فقد وجدت فيه أمور تثير السؤالين التاليين:

١- هل استطاع الكتاب أن يستفيد من تجارب الأمم الأخرى في إطار قيم الأمة؟

٢- هل الكتاب مرشد أمين تطمئن إليه قلوب الوالدين والمعلمين وأمناء وأمينات المكتبات وغيرهم من المهتمين في شئون التربية؟

فمن المهم في الكتب التي من هذا النوع، والتي تحاول أن تستفيد من تجارب الأمم الأخرى بيان الفكر المطروح فيها ورؤية الكتاب، لأن هذا يؤدي إلى التعرف على العديد من المفهومات المبثوثة في ثناياها، ومن المسائل الخطيرة في موضوع كهذا أن تؤخذ الأمور على أنها مسلمات دون إدراك حقيقي لما تحويه من أمور لا تتفق وقيم الأمة، خاصة أن الكتاب يصرّح بأن «وراء هذا الجهد سنين من السهر والعرق» (١)، وهذا التصريح من شأنه أن يعطي الضوء الأخضر للمربين ليعتبروا مسائل كثيرة فيه من المسلمات التي تنتظر التطبيق العملي، والأمر كله يتطلب نظرة موضوعية ملتزمة بالحق لما يعود بالخير على الأمة، فما كان فيها من صلاح يؤخذ به، وما كان فيها غير ذلك يُترك. والملحوظات التالية عن الكتاب تحاول أن تبين أهمية أن يلتزم من يتصدى لأمور التربية بالمنهج الإسلامي إيماناً وعملاً.

ملحوظات عن الكتاب

١ - ذُكر في الكتاب إطار عمل للتوعية بالقراءة من وضع أجنبيين مهتمين لما يعود بالفائدة على الناس، فالقراءة تساعد الإنسان على مواكبة الأحداث، وتعرفه إلى ذاته، ويستطيع من خلالها أن يواجه احتياجاته اليومية ويرتقي في مهنته وعمله ويحقق رغباته الاجتماعية والمدنية وينمي ثقافته ويرضي ميوله الفكرية واحتياجاته الروحية (٢)، وفي موضعين آخرين ذُكر أن القراءة مهارة أساسية لإنجاح الإنسان في حياته العامة والخاصة (٣)، وعندما يورد الكتاب الآية القرآنية ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (٤)، (دون ذكر السورة ورقم الآية) يبين أن الطفل إذا قرأ عرف المزيد فاجتذب من يرغبون في أن يعرفوا وصار بينهم نجمًا (٥)، ويلاحظ هنا عدم التمييز الواضح بين الذين يعلمون والذين يقرأون لمعرفة المزيد وتحقيق النجاح في الحياة والثقة والاعتزاز بالذات (٦)، فالذين يعلمون ارتبط علمهم بالعلم النافع الذي يؤدي إلى تقوى الله بالمفهوم الشامل للعلم، أما الذين يقرأون لمعرفة

المزيد فأمرهم متروك دون ضوابط يأخذون من العلم النافع، وربما أخذوا من العلم غير النافع ليحققوا نجاحًا في الحياة الدنيا.

وكان على الكتاب أن يركز على أمر طلب العلم في الإسلام والأجر الذي يناله صاحبه في الدارين، فإن هذا من شأنه أن يرسخ مفهومًا أساسًا في حياة الأمة طالما تجاوز عنه كثير من الكبار، وهم يربون أبناءهم على أهمية الجوانب النفعية المادية في طلب العلم، وهذا يؤدي إلى الخروج من النهج القويم إلى مساحات ضيقة، فلا يكون طلب العلم إلا لتحقيق غايات دنيوية كما يفعل الغرب.

٢- يدعو الكتاب في إطار حملة توعية الناس بالقراءة وأهميتها إلى إجراء دراسة ميدانية حول رغباتهم وميولهم (٧)، وهذا قول كان ينبغي التمعن فيه قبل طرحه، لأن القراءة بصورة عامة لا تتأطر وفق الرغبات والميول، وخاصة أننا نعيش في زمن فتن شتى تترك الرغبات دون ضوابط شرعية، وليس موضوع تربية النفس وتهذيبها وإصلاحها وتوعية الأمة بدورها في الدعوة إلى الله قولاً وعملاً بأدنى من موضوع أحدث تسريحات الشعر والأزياء، أو موضوع أخبار نجوم الفن والرياضة، وغيرهما من الشئون التي يميل عديد من الناس إلى تتبعها انقيادًا وراء رغباتهم وميولهم، والمقارنة بين الذي هو خير والذي هو أدنى لا تصلح أبدًا، غير أن الواقع المؤلم يبين كيف استبدل أناسٌ الذي هو أدنى بالذي هو خير وأبقى.

ويتصل بهذا ما ذكر من إمكان إسهام الصحف والمجلات في حملة التوعية بالقراءة لما يعود عليها بفائدة زيادة قرائها وزيادة التوزيع (٨)، وهذا مفهوم يؤكد على أمر النفعية وأهواء القراء، ولا يشير إلى الرسالة التي تؤديها الصحف والمجلات، أو ما ينبغي أن تؤديها، إذا كانت النية خالصة لله سبحانه وتعالى، وليس مجرد زيادة التوزيع وتحقيق الربح، لأن هذا يكون تحصيلاً للنية بتوفيق من الله تبارك وتعالى.

٣- يذكر الكتاب في معرض حديثه عن ترويج كتب الأطفال أمر دفع نجوم الفن في الولايات المتحدة الأمريكية إلى الحديث عن كتب معينة ليقرأها الأطفال (٩)، ويحق لنا أن نسأل عن القيم التي يعيش لها نجوم الفن في الدول الغربية، وهلي يصلح نجم الفن أن يكون قدوة للناس ؟ ! وقد تدفع الفكرة المطروحة في الكتاب مربيًا في ديار الإسلام ليقوم بعمل مماثل، فيدعو نجمًا فنانًا ليروج لكتاب للأطفال، وقد ابتليت هذه الأمة بسلوكيات مستوردة تدخل من يجب عليه أن يؤدي أمانة ثقافية في دوائر النجومية والشهرة، فيتحول الإنسان عن رسالته التي وجد من أجلها، إلا من رحم ربي ! !

٤- يرى الكتاب أن الحضارة الإسلامية حلقة في سلسلة الحضارات السابقة واللاحقة (١٠)، وهذه الرؤية تلغيها خصوصية الإسلام وتميزه بأنه الدين الذي ارتضاه الله - عز وجل - لعباده، وجعل الخيرية لهذه الأمة إنْ تمسكت بالقوامة على الحق واستمرت في التصويب، فتكون صالحة بذاتها مصلحة لغيرها (١١)، حضارية الوجود. ولا عجب أن يعد عصر صدر الإسلام ممثلاً لأوج الحضارة لأنه أكثر ملاءمة لعبادة الله وتوحيده والسير على النهج القويم، وسلوك المسلمين فيه كان أكثر التزامًا بتعاليم الإسلام من سلوكهم في قرون لاحقة (١٢)، وبناء على هذا لا يمكن نزع الأساس العقدي وما يؤدي إلى سلوك عن الحضارة الإسلامية لأنها ما تكونت وتطورت وسمت إلا به، ولا يجوز ربط الحضارة الإسلامية بحضارات أمم أخرى، لأن هذه الحضارات إنجازات مادية في أطر الشرك والكفر واللادين والعلمانية.

وقد وردت في الكتاب إشارات عدة إلى حضارة مصر القديمة يشيد بها : مكتبة الإسكندرية (١٣)، وحضارة الإنسان في مصر (١٤)، غدت مصر القديمة علمًا عالميًا يسمى Egyptology «مصر لوجيا»(١٥)، عدم الإساءة إلى مصر الفرعونية (١٦)، كتاب مترجم فيه لوحات عن الحصان من أيام الفراعنة حتى

بيكاسو (١٧)، اقتحم رجال الآثار مجال الكتابة للأطفال عن الحياة في مصر القديمة (١٨)، رواية إنجليزية تدور في مصر القديمة (١٩)، وكان ينبغي توخي الحيطة عند إيراد تلك الإشارات في كتاب موجه للمربين في ديار الإسلام، فإن حضارة مصر القديمة لا تشكل في الرؤية الإسلامية سوى إنجاز مادي، فإن كان فيها ما ينفع الأمة على صعيد العلوم أخذته ولا ضير في ذلك، ولا يفوتنا أن ننبه إلى معنى الانحطاط البشري والعلاقات التسلطية التي قامت بموجبها الأيدي المقهورة للبناء إرضاء لأهواء حكام طغاة يطلبون خلود الذكر (٢٠)، وقصة موسى - عليه السلام - مع فرعون خير شاهد على هذا في كتاب الله العزيز (٢١)، تذكّر عباد الرحمن به.

٥ - يذكر الكتاب أعلامًا ثقافية في ديار الإسلام مثل الجاحظ وطه حسين ونجيب محفوظ، وقد ورد ذكر كل منهم كما يلي :

أ- الجاحظ : يرى الكتاب أن الجاحظ أعظم قراء التاريخ (٢٢)، ولأنه مات شهيد الكتب حين دفن تحتها فقد خلدت كتبه وأعماله، ولابد من إيجاد الجاحظ من جديد بين أطفال الأمة (٢٣)، وكتاب الحيوان هو الذي يجب أن نقدمه للأولاد بمختلف الأعمار (٢٤) . ويتوجب علينا ألا نكون أساري قيم تقليدية في الحكم على الأشخاص وأعمالهم، وعندنا بحمد الله ميزان الحق وبه يعرف الرجال، فالجاحظ كان سيئ الخبر، رديء الاعتقاد، يُنسب إلى البدع والضلالات، وربما جاز به بعضهم إلى الضلال (٢٥)، ولم يكن ثقة ولا مأمونًا (٢٦)، وقد عدّه الذهبي رحمه الله من أئمة البدع (٢٧)، وهذا لا يمنع من دراسة أعماله والاستفادة منها ولكن بحذر وحرص شديدين، فلا تترك الأمور على الغارب، وخاصة ثقافة الطفل المسلم. ومن جهة أخرى لا يوضع الجاحظ في قمة الثقافة الإسلامية على اعتبار أنه أعظم قراء التاريخ، ففي هذا تجاوز ظالم عن علماء يتمنى الخيّرون في هذا العصر أن ينشأ أولادهم على منهجهم - ولا أقول مثلهم - فلا يتمنى مرب واعٍ أن يكون ولده جاحظًا آخر.

ب - طه حسين : يعدّه الكتاب عبقريًا (٢٨)، كان يمكن للإنسانية أن تفقد الكثير لو أنها لم ترعه (٢٩)، ويدعو الأطفال إلى أهمية قراءة أعماله (٣٠)، وينبغي أن يُقدّم طه حسين في إطاره الصحيح دون تجاهل حقيقة أعماله، والمطّلع عليها، وخاصة في مجال السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي (٣١)، يدرك خطر تقديمه إلى النشء على أنه كاتب عبقري، والأمة في حاجة ماسة في هذا الزمن إلى أن تدرك حقائق كتّاب يزينون الباطل ويقدّمون افتراءات جسيمة على قيمها وتاريخها باسم التقدم والتحرر من القيود.

جـ - نجيب محفوظ : يُذكر من خلال حصوله على جائزة نوبل، وأثر هذا على أدب الأطفال نفسه ومحاولات الأطفال تجاوز طفولتهم والأدب المكتوب لهم (٣٢)، ليقرأوا أعماله ويقتدوا به، وتُذكر أعماله - ضمن الأعمال الأدبية عامة - على أن ينظر إليها بقلب وعقل منفتحين لإدراك قدرتها على التأثير بالجمال والصدق والقيم التي تحتويها (٣٣)، ويدعو الكتاب الأطفال إلى قراءة أعماله (٣٤) . وليس نجيب محفوظ بالنموذج الذي يقتدي به أولاد الأمة، فالعديد من أعماله وخاصة ثلاثيته «بين القصرين» و «قصر الشوق» و«السكرية» ورواية «أولاد حارتنا» تنضح بأفكار خطيرة، فالدين في أعماله المذكورة يعد حلقة من حلقات تطور العقل البشري، ولابد أن يصل الإنسان إلى الاشتراكية العلمية التي تمثل قمة هذا التطور، مع اعتبار أن العلم لا الدين (أي الإسلام) هو سيد الموقف في الحياة وهو منقذ الإنسان (٣٥) . والحديث عن ثلاثيته يقود إلى شخص السيد أحمد عبدالجواد الذي يجسد تناقضًا رهيبًا بين «التزمّت» الديني داخل بيته، وما يؤدي إلى تسلط وقهر وقمع تتعرض له أسرته

على يديه، وبين انفلاته الكلي من الإسلام وقيمه في مجالس الأنس والطرب والخمر والزنا خارج البيت (٣٦)، ويذهل القارئ المسلم لهذه الأمور عندما يعرف أنها صادرة عن كاتب في ديار الإسلام .

٦- يُذكر أن هناك بعض الكتاب ينقلون من مصادر رديئة مثل مجلة «المختار» Readers Digest ، «وهذه المصادر قد تصلح تسلية للكبار ولكنها تضر بالأطفال» (٣٧)، وكان يتوجب توخي الحذر في هذا الكلام قبل نشره لأن المصادر الرديئة، وخاصة الأجنبية منها، لا تصلح تسلية للكبار في ديار الإسلام، فكلما هبط مستوى الكبار الثقافي، كلما أثَّر هذا على تربية أولادهم، فلا يصح أن يبيح الكبار لأنفسهم مشاهدة أعمال تلفازية سيئة ذات ضرر في حين يمنعون أولادهم عنها، وهذا ازدواج في السلوك غير محمود يبذر بذور الفساد في المجتمع الإسلامي، فالأصل الامتناع عن كل ماهو ضار للكبار والصغار.

٧- يشير الكتاب إلى أهمية أن يواكب طفلنا أطفال العالم (٣٨)، ويعزو تخلفه إلى أن الكبار ركزوا على أمرين في أسلوب تعاملهم لتنشئته وهما الكم التعليمي المعرفي والكم التربوي الأخلاقي (٣٩)، وفي موضع يَذكر الكتاب أن أطفال البلدان المتقدمة يذهلون الكاتب بسبب قدرتهم على التعبير عن أنفسهم وأفكارهم (٤٠)، وطبيعي ألا يخفي إعجابه بالدول المتقدمة (٤١)، ويقترح في هذا المجال أن تفتح نافذة الأدب العالمي لطفلنا بترجمة الأعمال العالمية (٤٢). وكان ينبغي التروي في هذا الأمر قبل أن يكون بين أيدي المربين، لأن هذا من شأنه أن يفتن الكبار، فتدفعهم الفتنة إلى استيراد أنظمة الدول التي سمّاها الكتاب المتقدمة، فيتوهمون جهلاً أن هذا يصل بأطفالهم إلى المستوى المطلوب، وعلينا ألا نذهل إذا ما وضع الغرب أقدامهم على سطح القمر، وألا نعتبرهم قدوة، لأن التقدم عندهم إنما هو تقدم مادي في إطار قيمهم، وحق لنا أن نذهل للتراجع الرهيب في قيمهم، وخاصة الاجتماعية منها.

وحق لنا كذلك أن نخالفهم في توجهاتهم التربوية، لا أن نؤيدها. ويعجب المرء حقًا وهو يقرأ عن كتاب موجه للأطفال في إطار اهتمامهم بما يقرأ أولادهم في التسعينات من القرن الميلادي العشرين (٤٣)، يتناول شئون العادة السرية والشذوذ الجنسي والعلاقات المحرمة ثم المخدرات والاكتئاب والضغوط النفسية والانتحار (٤٤)، ويزداد المرء عجبًا بل ذهولاً عندما يعد الكتاب هذه الشئون «(لونًا) من المعرفة يجدر بنا الوقوف عنده وقد نختار منه ما يناسبنا»(٤٥)، ويشير إلى أن المحافظين قد يفزعون منها (٤٦). ونقول إننا في ديار الإسلام لسنا محافظين ولا متحررين ولا راديكاليين، ولكننا مسلمون بحمد الله تعالى وفضله لا ننتظر أفكار الآخرين وممارساتهم في أمور ذات مسائل تربوية دقيقة تتطلب حذرًا ووعيًا. ونحن في غنى بنعمة من الله عمن يروج لأفكار خطيرة تمس أهم مسائل الأمة ألا وهي تربية النشء، وقد كفانا الله سبحانه وتعالى مؤونة ذلك بالمنهج الذي من شأنه أن ينشئهم النشأة الصالحة الخيِّرة، فله الشكر دائمًا وأبدًا. وأن ديار الإسلام مازالت تحتفظ بالعفة والطهارة برعاية الخالق عز وجل لهذه الأمة، ومازالت بعيدة عما ابتليت به المجتمعات المتقدمة من شتى أنواع الأمراض ومختلف صنوف الفواحش.

وأن مجرد ذكر تخلف أولاد الأمة يعني محاولة الأخذ من الدول المتقدمة، فيصبحون دون هوية وينفلتون من قيمهم بحجة مواكبة روح العصر والجري خلف أولاد الأمم المتقدمة، ولا خير فينا إن نحن نظرنا إلى التقدم بالمنظار النفعي المادي. هذا من جهة، ومن جهة أخرى ينبغي علينا ألا نقارن طفلنا بطفل الدول الأخرى، لأن تربية طفلنا المرجوة ترتكز على أسس عقدية ومنهج ارتضاه الخالق تبارك وتعالى، حتى يعيش في رضا وخير في الدارين. وعندما تربى أجدادنا الصالحون وفق هذه التربية سادوا العالم وحققوا إسهامات غير مسبوقة، وما أمر التقدم العلمي الذي سمي خطأ بعصر

النهضة في أوربا [٤٧]، بخافٍ على كل بصيرة، وهذا ليس اكتفاء بالحياة في الماضي والتاريخ [٤٨]، بل هو إشارة قوية تذكرنا بالمنهج الذي ينبغي أن نسير عليه ويتوجب أن نربي أبناءنا عليه.

٨- قبل تناول أمور وردت في الفصل الثالث عن القيم، أشير إلى أن جزءًا منه لم يكتب خصيصًا للكتاب، فقد قدم لأول مرة - في حدود علم العبد الفقير لله، والله أعلم - في ندوة رعاها مكتب التربية العربي لدول الخليج في الرياض ونشر مع أوراق أخرى في كتاب عنوانه «ماذا يريد التربويون من الإعلاميين» [٤٩] عام ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م)، والجزء ذاته نشر في كتاب يحمل عنوان «فصول في أدب المسلم» [٥٠] عام ١٤١٢هـ (١٩٩٢م). كما أشير إلى أن فصلين من الكتاب موضوع الدراسة سبق نشرهما، فالفصل السادس بعنوان «نحو مدارس أدبية في نقد أدب الأطفال» [٥١] سبق نشره في مجلة الموقف الأدبي [٥٢] عام ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م). أما الفصل الثاني بعنوان «تطور كتب الأطفال» [٥٣]، فقد نشر في مجلة الفيصل [٥٤] سنة ١٤٠١هـ وهذا ما أمكن حصره من فصول نشرت متفرقة قبل أن يضمها الكتاب، وكان يتوجب ذكر هذا في مقدمته [٥٥].

أما الملحوظات عن فصل الطفولة والقيم فهي :

أ - يذكر قول «اطلبوا العلم ولو في الصين» دون تخريج، ويبدو للقارئ أنه حديث شريف، وهو موضوع وباطل لا أصل له [٥٦]، وكان الأولى عدم ذكره.

ب - يدعو الكتاب المربين إلى تثقيف الوجدان حتى ينصلح البنيان [٥٧]، فإن تأمل لوحة الجوكاندا (للرسام ليوناردو دي فنشي) وسماع السيمفونيات - على سبيل المثال- يسهمان في شأن هذا التثقيف [٥٨]، ويخطئ الكتاب عندما يعزو تخلف أطفال الأمة عن أطفال الدنيا بسبب تركيز المربين على الكم التعليمي المعرفي والكم التربوي الأخلاقي [٥٩]، كما تم بسط ذلك في الباب السابق، هذا إذا ما سلمنا جدلاً بأن أطفالنا متخلفون فعلاً ! وتثقيف الوجدان وحده لا يحقق التوازن المرجو، لأنه يكون على حساب تثقيف جوانب أخرى، ومنهج الإسلام التربوي متكامل شامل. أما الحديث عن لوحة الجوكاندا والسيمفونيات فإن هذه إنتاج غربي يجب ألا يبهرنا ويلفتنا عن ثقافتنا، كما أن علينا ألا نكون مقيدين بمفهومات ثقافية غربية أصبحت تصورات ثابتة تضعف من تمسكنا بقيمنا، وكان الأجدر بالكتاب أن يشير إلى زهرة وصوت طائر وما يمكنهما أن يثيرا في النفس من مشاعر خيِّرة، فيعملان على تهذيبها وهما ينطقان بعظمة الخالق تبارك وتعالى وإبداعه.

جـ - ذكر أن الأدب الشعبي هو حكمة الشعوب التي تستهدف معنى الحياة وإدراك النفس ورسم فلسفة للوجود [٦٠]. وهذا كلام فيه من المبالغة ما يدعو الأمة إلى عدّ هذا الأدب منهلاً لابد أن تنهل منه، بل وأن تحافظ عليه كما هو عند تقديمه للأطفال [٦١]، كأنما هو يبلغ درجة القداسة، ويشار في هذا المجال إلى دور مستشرقين في إلقاء الضوء على الغث في ثقافة الأمة، الذي دخل فيها ونما في أوقات انحرفت فيها عن الحق والخير، في محاولة خبيثة منهم لإشغال كثير من الناس في ديار الإسلام بثقافة لا يمكن أن تعد إلا زبدًا يذهب جفاء ، وإن كان خطره يبقى، فلا عجب أن يعد ألف ليلة وليلة «(واحدًا) من أغلى مصادر كتب الأطفال العالمية» [٦٢]، ضمن رؤية تتعامل مع أمور مفروضة علينا لمجرد أنها بدع من الدول المتقدمة.

د - عندما يتناول الكتاب القيم الإسلامية يشير إلى أن الحضارة قيمة عليا، ويذكر حضارات الإنسان ومنها الحضارة الإسلامية، ولكنه يسميها الحضارة الوسيطة [٦٣] . وهذا كلام تلفيقي يؤدي إلى نزع تميز الأمة الإسلامية وحضارتها، وجعل الإسلام قيمًا فسيفسائية متعددة المصادر فلا مانع أن يأخذ المسلمون قيمهم من حضارات سابقة ولاحقة دون حرج. ومما يؤكد على هذا الأمر تناول الكتاب شأن القيم القومية العربية بعد الحديث عن القيم الدينية الإسلامية، فالقيم القومية العربية تستهدف «خلق

المواطن الصالح، الذي يحافظ على حقوق وطنه العربي في مواجهة تحديات العصر، ومحاولات العدوان على أرضه وإنسانه وثروته، والذي يتمسك بتراثه العريق ويحميه ويعايشه، والذي يناضل من أجل أن تعيش بلادنا مواكبة للحضارة، غير متخلفة عنها، والذي يؤدي واجباته حيال الوطن والمواطنين، ولا يغفل لحظة عن الأخذ بأسباب التقدم والرقي» (٦٤)، وكأنما القيم الإسلامية غير مؤهلة لتحقيق هذه الأهداف، فكان لابد من إيجاد ملحق لها يسعفها في إدراك ما فاتها، وينبغي على القارئ الكريم ألا يدهش كثيراً وهو يرى أن أهداف القومية العربية تضع الإيمان بالله سبحانه وتعالى والقيم والمثل في المرحلة الأخيرة (٦٥)، أي إن هناك أولويات في تلك القيم العربية تجعل الإيمان بالله تبارك وتعالى وترجمته إلى سلوك في الدرجة الأخيرة من سلّمها. وليس من الغريب والحال هذه أن يُذكر أن أهداف القيم القومية العربية تتفق مع مبادئ حقوق الإنسان العالمية وميثاق الأمم المتحدة (٦٦). فالمرجع هنا مبادئ حقوق الإنسان وميثاق الأمم المتحدة، وعلى الأمة أن تلجأ إليها حتى تواكب العصر دون أن تتخلف، وهذا كلام في حاجة إلى إعادة نظر لأن الله سبحانه وتعالى قد كفى هذه الأمة بمنهاج الإسلام المتكامل.

ويقود الحديث عن القومية والوطنية إلى أن يبين الكتاب واجبات المرء نحو الإنسانية (٦٧)، فإن القومية تنمي مشاعر إيمان الطفل بعروبته ومواطنته العربية مع تحصينه ضد العصبيات والنعرات والطائفية والإقليمية (٦٨)، وتؤدي به إلى التطلع نحو الإنسانية وواجباته نحوها. وألفاظ مثل القومية والوطنية والإنسانية فضفاضة خادعة تلغي مفهوم الإسلام في تعامل المسلم مع أصحاب الملل والمعتقدات. والمعروف أن الإسلام قد أقر ضوابط وأصول في تعامله معهم، ويترتب على هذا نتائج مهمة لصالح المجتمع الإسلامي وتنظيم علاقاته مع الآخرين، وخاصة أهل الكتاب من يهود ونصارى، ولكن القومية والإنسانية تطلب من المسلم أن يتخلى عما أقره الإسلام (٦٩)، فالنصراني في ديار الإسلام عربي قومي ينادي بالعروبة، وينبغي على المسلم أن يتعامل معه على أساس القومية، بل إن الإنسانية تحتم على المسلم أن يتعامل مع الآخرين بالمفهوم نفسه.

هـ - يذكر أن الإذاعة تقدم عدداً كافياً من البرامج الدينية، وخاصة في المناسبات (٧٠)، فهناك منحى سائد في تقديم برامج إسلامية في مناسبات دينية، وكأنما الإسلام غدا مجرد مناسبات لا علاقة له بالحياة، ويتعزز هذا الاتجاه عند الحديث عن الناس وهم يستمعون إلى كبار المقرئين وعن المنظر الرائع لأطفال يحفظون قصار السور (٧١)، وكتاب الله - عز وجل - ليس مجرد تلاوة وحفظ بقدر ما هو دستور الأمة ومنهاج حياتها المتكامل تحكم بما جاء فيه.

و - يرى الكتاب أن لا يدفع الأطفال إلى الخوف والرعب من خلال الحديث عن العقاب والنار (٧٢)، ويتطلع إلى سلوك لا يستهدف الثواب، ولا يخاف من العقاب، بل عن حب لله وإيمان به وقناعة كاملة بالفضيلة والقيم (٧٣)، وأما الخوف فصفة فطرية في النفس، ولايمكن فصله عن الاطمئنان إلى رحمة الله تعالى إطلاقاً، وينبغي أن يكون هذا في تربية الطفل، فالله تبارك وتعالى غفور رحيم وهو شديد العقاب، فلابد أن يتربى الطفل على هذا المنهج الإسلامي (٧٤)، وأما القول بسلوك لا يستهدف الثواب والعقاب فهذا سلوك مثالي النزعة يتعارض مع التوجه الإسلامي التربوي وموافقته لفطرة الإنسان وواقعيته.

ويشير الكتاب إلى أن مفهوم الإلوهية يجب أن يقوم على أنه حب ورحمة وأن الله أحق أن نخشاه (٧٥)، والألوهية هي العبادة بمفهومها الشامل لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال، ولا يقتصر على جانب الحب والرحمة، وينبغي ألا نركن إلى التسامح والاطمئنان ونهمل الجانب الآخر، فالإسلام جاء متوازناً معتدلاً في توجيهاته الربانية (٧٦).

ز - في باب تعارض المفاهيم وتناقض القيم السلوكية يذكر الكتاب أمر التماثيل العارية والموسيقا، فيلجأ

إلى عرض وجهتي نظر الفنانين وعلماء الدين بشأن التماثيل العارية (٧٧)، كما يذكر عن الموسيقا أنها «تقام لها المعاهد والأكاديميات بينما يراها البعض (٧٨) منا رجسًا من عمل الشيطان، لأنها تشغل عن ذكر الله. إننا نمنع استخدامها حتى كفواصل بين مواد إذاعة القرآن الكريم» (٧٩). وفي مواضع أخرى في الكتاب تتضح وجهة نظر الكتاب المؤيدة للوحات الجميلة والآثار الخالدة والسيمفونيات(٨٠). وهذه وجهة نظر ذاتية كان يتوجب الحذر في طرحها، فالمربي في حيرة من أمره في زمن كثرت فيه الفتن، فيتوجب تحديد شئون مثل الفن بضوابط إسلامية واضحة المعالم ، والمطلع على ما يدور في عالم الموسيقا في ديار الإسلام - على سبيل المثال لا الحصر - يرى عجبًا ويسمع كل ما يمكن أن تبتدعه النفس الأمارة بالسوء بعيدًا عن الأخلاق الإسلامية المرجوة .

هذه كانت أمور عما ورد في فصل الطفولة والقيم في الكتاب .

٩ - يعرض الكتاب نماذج قصصية كثيرة في مواضع عدة من خلال مناقشة موضوع قراءة الطفل(٨١)، وأكتفي بإيراد النماذج التالية :

أ - على باب زويلة

يذكر أن رواية «علي باب زويلة» لمحمد سعيد العريان قد شدّت اهتمام الكبار والصغار عندما قُدمت في ثلاثين حلقة مسلسلة، وزاد الإقبال على مؤلفاته التي صدرت للأطفال (٨٢) .

فأما رواية «على باب زويلة» فتتناول عصر دولة المماليك وتركز على اختصام الأمراء والولاة السلاطين حول العرش والمناصب، وما ارتبط بهذا من عزل وخلع وقتل وفتن في القصور وخارجها (٨٣)، كما تبرز موضوع رق المماليك (٨٤)، وتثير العصبية القومية(٨٥) من خلال رؤية تتعامل معهم على أساس أنهم غرباء لا مسلمين، ويترتب على هذا تجاهل دور المماليك وما قدموا للأمة، ليس فقط في جهادهم الفرنج والتتار والإسماعيلية ؛ بل في مختلف مناحي الحياة.

وأما قصص العريان للأطفال فتميل إلى الاعتماد على المصادفة والحوادث المفتعلة بصورة كبيرة، ولا تخلو من الإشادة بأوربا ومصر القديمة، كما تضم مفهومات عن الإقليمية والحظ والجمال المادي بما لا يتفق مع التوجه التربوي الحميد، وهي بشكل عام لا تصلح للأطفال (٨٦).

ب - علاء الدين والمصباح السحري

في دفاعه عن الأدب الشعبي، الذي يصفه بأنه حكمة الشعوب، يشير الكتاب إلى أن بعض الناس يتمادون في إخضاع هذا الأدب لمقاييس متعارف عليها، ويورد مثالاً على ذلك قصة «علاء الدين والمصباح السحري»، فيسأل على لسان الذين يتمادون : «كيف يحصل علاء الدين وهو ولد سيئ على جائزة المصباح ؟» (٨٧)، ثم يجيب على لسانهم أيضًا : «فلنجعل علاء الدين ولدًا طيبًا ويستقيم العمل»(٨٨)، ويستنكر الكتاب هذا فيسأل : «هل هكذا يتم التعامل حتى مع حكمة الشعوب التي تستهدف معنى الحياة ، وإدراك النفس، ورسم فلسفة للوجود ؟ !»(٨٩) .

ويلاحظ هنا أمران: الأول أن هذا الكلام ورد في فصل «الطفولة والقيم»، والأمر الآخر أن الكتاب يعد قصاص المخطئ من المعايير المتعارف عليها، وليس من أصول الشرع، فيجب مكافأة علاء الدين العاق لوالديه، وخاصة لأبيه الذي مات وهو عليه غاضب لعبثه ولهوه (٩٠)، إكرامًا لحكمة الشعوب التي تستهدف معنى الحياة، وإدراك النفس، ورسم فلسفة للوجود (٩١). وهل يجازي الله سبحانه وتعالى السارق والزاني وشارب الخمر أحسن الجزاء ؟! ثم إن أمر السحر من الأمور الخطيرة التي ينبغي أن نزيلها من ثقافة الطفل المسلم .

جـ - الأم أمينة

تتحدث القصة عن الأم أمينة التي اختيرت أمًا مثالية

عندما منحت عضواً من أعضائها لولدها الذي ولد وفي جسمه إعاقة لا تمكنه من المشي، ويشار إلى أن القصة تخلو من صلة ينبغي أن تكون بين العبد وربه، باستثناء ما ورد عندما أبلغت الأم بحال طفلها: «(فأظلمت) الدنيا في وجه السيدة الطيبة، ورفعت يديها إلى السماء : (يا رب، هل كتبت على بُني أن يظل كسيحاً، راقداً في فراشه عمره كله ؟!)(٩٢)»، وكأنما الأم تعترض على قضاء الله - عز وجل - وقدره وقد أظلمت الدنيا في وجهها، بدل أن تحمد الله سبحانه وتعالى وترضى بحكمه حتى يأذن بالفرج، وتطلب منه الرحمه والعون. عندما استطاع الابن أن يمشي بعد إجراء العملية، لم تشر القصة وهي تتوجه إلى الأطفال إلى شكر الأم والابن للباري الرحيم سبحانه وتعالى، بل أشارت إلى أن الأم حين رأت ولدها يمشي زغردت الفرحة في صدرها، وإلى أن الابن لم ينسَ فضل أمه في كل مكان (٩٣)، فهل خفي عليه فضل الله ونعمته ؟ ! ويلاحظ أن القصة تشير إلى عيد الأم وهو مفهوم غربي لا يتفق مع نهجنا القويم، فهم يكرمون الأشخاص في مناسبات فقط سموها أعياداً !

د - رجل غني ، رجل فقير

يشير الكتاب إلى أن رواية الكاتب الأمريكي أروين شو Irwin Shaw «رجل غني ، رجل فقير» Rich Man Poor Man قد راجت بعد عرض حلقاتها على شاشة التلفاز، ولم يكتف الأطفال بشرائها فحسب، بل عمدوا إلى بقية كتبه(٩٤)، والكاتب شو وكتبه لاتصلح للأطفال، فهي تصور الفواحش على أنها واقع من متطلبات الحياة والأعمال الفنية، وهي جزء من مجتمعاتهم المتقدمة. فرواية مثل «الأسود الفتية» The Young Lions تظهر أثر الحرب على الجنود والناس وما ترتكب نساء المقاتلين من فواحش في غيابهم (٩٥)، فإن كانوا يسمحون لأطفالهم بقراءة هذا، فإن التوجه التربوي في ديار الإسلام يحول دون ذلك. وكان ينبغي التريث قبل طرح اسم الكاتب على أساس أنه نموذج.

هـ - قمر في السحاب

يقترح الكتاب ترجمة رواية «قمر في السحاب» The Moon in the Clouds لمؤلفتها روز ماري هاريس Rosemary Harris لأنها تدور في مصر القديمة (٩٦)، ولأنها فازت بجائزة كارنيجي Carnegie عام ١٩٦٨م (١٣٨٨هـ) فهي تعد من الشوامخ(٩٧)، وتتناول الرواية جوانب من قصة نوح، عليه السلام.

ولكن ضمن إطار التوراة المتداولة بين أيدي الناس، وتذكر المؤلفة أن حوادث الرواية تدور في فلسطين وتسميها «إسرائيل» (٩٨) وفي مصر القديمة (٩٩)، والله سبحانه وتعالى فيها غير واثق ما إذا كان سيغرق ولد نوح عليه السلام أم لا (١٠٠)، أما نوح - عليه السلام - فيقدم بصورة لا تتناسب ورسالته، فزوجته وولداه يسخرون منه (١٠١)، والوحي الذي يأتيه داخلي وليس من مصدر خارجي (١٠٢)، أما ولده فتقتله أنثى فيل ولا يغرق في الفيضان (١٠٣)، وتبتكر الرواية شخصية خيالية تجمع حيوانات في الفُلك من خلال زيارتها لمصر القديمة زمن أحد ملوكها. والرواية لا تصلح أن تكون بين أيدي أولادنا وإن كانت من الشوامخ (١٠٤).

و - ملك الريح

يذكر الكتاب أهمية ترجمة رواية «ملك الريح» King of the Wind لمارجريت هنري Marguerite Henry لأنها تدور في المغرب ولأنها فازت بجائزة جون نيوبري John Newberry Medal عام ١٩٤٩م (١٠٥). وتتناول الرواية شخصاً اسمه عقبة جعلته سائساً عربيّاً صغيراً أخرس تحركه في المغرب وفرنسا وإنجلترا. و يلاحظ كيف أن الرواية أسمته عقبة، وحددت أنه عربي وليس مسلماً، ولا يخفى على القارئ الكريم تعامل الغرب مع الإسلام والمسلمين وتاريخهم، وخاصة تاريخ الفتوحات، ولم يكن اختيار اسم عقبة من قبيل المصادفة، فهو يذكّرنا بعقبة بن

نافع - رحمه الله - وفتوحاته، ولكن عقبة هنا مجرد سائس أخرس له حصان لا يجاهد به. بل يشارك في السباق ويفوز وتصفق له الملكة والملك ويشعر بالفرح (١٠٦)، فهو قد رضي أن يعيش في إطار حياة الغرب ونشاطاتهم وقيمهم، فتكافئه الرواية نتيجة لذلك !

ز - الطفل الذي كانت له عينان

تعتمد قصة «الطفل الذي كانت له عينان» على المبدأ الخامس من إعلان حقوق الطفل الذي نادت به الأمم المتحدة عن ضرورة أن يلقى الطفل ذو الحالة الخاصة ما يتطلب من رعاية (١٠٧). وتدور القصة حول طفل ولد في كوكب يشبه كوكب الأرض، ولكن به عيب جسمي غريب هو أن له عينين، إذ إن لكل ساكن من سكان ذلك الكوكب عينًا واحدة (١٠٨)، وهذا يتناقض مع قول الله عز وجل في كتابه العزيز: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(١٠٩)، ومع قوله سبحانه وتعالى ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ﴾(١١٠)، فالعينان تدخلان في خلق الله، فلا يقال أن هذا عيب جسمي في موضعين من القصة (١١١).

ح - ذات الرداء الأحمر

عندما يذكر الكتاب قصة «ذات الرداء الأحمر» Little Red Riding Hood في فصل «نحو مدارس أدبية في نقد أدب الأطفال» يسأل عما إذا كان الكبار والصغار قد أدركوا الإيماءات والرموز الجنسية الواضحة في القصة، ويورد فكاهة عما قال الذئب للفتاة: «سوف آكلك فترد عليه ساخرة: أمَا عاد أحد يمارس الحب في هذا الزمن الرديء ؟ !» (١١٢)

فهل هذا مما يورد في كتاب للمربين عن الطفل وقراءته ؟! وهل نحن في حاجة إلى تفسيرات غربية دخيلة عن قصة غريبة ؟! وهل يمكن لطفل الخامسة أو السادسة أن يفكر في أمر الجنس عندما تروى له؟!

١٠- يدعو الكتاب إلى أهمية ترجمة الشوامخ، ويعني بها الكتب التي حصلت على جوائز في أدب الأطفال (١١٣)، ويُكتفى في هذا المقام بذكر ثلاث روايات حصلت اثنتان منها على جائزتين ورشحت الثالثة لعدة جوائز، وهي مما تمكن العبد الفقير لله من الاطلاع عليها، وقد تمت الإشارة في الباب التاسع إلى عملين في المجال أيضًا:

أ- تطغى على رواية «أدنى قليلاً من الملائكة» A Little Lower than the Angels لمؤلفتها جيرالدين مكوجرين Geraldine McCaughrean أجواء نصرانية، فهي تتحدث عن فتى لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره يُدعى جبريل Gabriel ، يعمل صانعًا عند فني تركيب زجاج ملون الكنائس (١١٤)، ويلقى معاملة سيئة، فيترك عمله ويلتحق بفرقة مسرحية متجولة تقدم مسرحيات عن قصص من التوراة والإنجيل تجسد الله والأنبياء والرسل عليهم السلام في الكنائس وغيرها من الأماكن(١١٥). ويستغل رئيس الفرقة الدين ليكسب أموالاً من الناس، إذ يعمد إلى رجل في كل قرية تمر بها الفرقة فيتظاهر بأن المسرحية قد شفته من مرض مستعصٍ، ويصدق الناس السذّج أمر المعجزات المزعومة، فيلقون تبرعاتهم على أمل أن يشفوا من أمراضهم (١١٦). وتقدم الرواية فكرة أن يتحمل شخص ذنوب شخص آخر (١١٧)، وكيفية تحول أماكن في بريطانية العصور الوسطى إلى مزارات يزورها النصارى ويقدسونها بزعم ظهور مريم - عليها السلام - فيها (١١٨). وقد حظيت الرواية باهتمام نقاد وفازت بجائزة ويتبريد Whitbread البريطانية لأدب الأطفال عام ١٩٨٧م (١٤٠٧هـ)، وإن عُدّت من الشوامخ في حكم الكتاب، إلا أنها لا تناسب أطفال الأمة .

ب - تتناول حوادث رواية «حديقة الوحش» The Monster Garden لمؤلفتها فيفيان الكوك Vivien Alcock فتاة صغيرة تحس بالوحدة نتيجة انشغال أهلها عنها، وخاصة والدها الذي يهتم بتجاربه المخبرية في مجال الهندسة الوراثية (١١٩)، وفي يوم تحصل من

أخيها على خلايا تشبه بيضة ضفدع أحضرها من المختبر، فتثير اهتمامها وتضع قطرات من دمها عليها لتفاجأ في اليوم التالي بأنها تصبح مخلوقًا صغيرًا غريبًا (١٢٠)، نتيجة التجارب المخبرية التي يجريها العلماء، وتنشأ صداقة بين الفتاة والمخلوق الغريب، وتتعرض الفتاة لعدة مواقف صعبة حتى تقرر أن تترك المخلوق في البحر خوفًا عليه من تجارب العلماء، فتلجأ نتيجة لذلك إلى الهرب، ويلاحظ أن عملية تخلّق المخلوق تمت بصورة غير طبيعية، فهي مجرد خلايا حية وُضعت عليها قطرات دم بشرية، ثم كانت هناك عاصفة شديدة ورعد (١٢١)، تُذكر بأجواء رواية «الدكتور جايكل ومستر هايد»، ولا يخلو الكتاب من كثير من المواقف التي يكذب فيها الصغار أمام الكبار (١٢٢). وقد رشحت الرواية لعدة جوائز منها جائزة كارنيجي وجائزة ويتبريد، إلا أنها لا تصلح أن تكون بين أيدي أولادنا .

جـ - تدور رواية «الهاربان» The Runaways لمؤلفتها روث توماس Ruth Tomas حول صبي وصبية يتعرضان لمضايقات كثيرة في بيتهما والمدرسة، ويعثران على مبلغ من المال. وعندما يتعرضان لضغوط شديدة وتساؤلات عن مصدره، يقرران الهرب من لندن حيث يسكنان إلى منطقة بعيدة. وتتابع الرواية المشكلات العديدة التي يواجهانها وهما بعيدان عن عائلتيهما، ويعلمان أن الشرطة تبحث عنهما، ويعزم الصبي على ترك البلد إلى بلد آخر عن طريق سفينة كبيرة، ولكنه يكتشف في النهاية أنه يحب الصبية، فلا يبالي أن وقع بأيدي الشرطة وقد تخلى عن أمانيه وأحلامه بعد ما نضج حبه للصبية .

وتقدم الرواية مبررات عديدة لفرارهما، فأم الصبية لا تهتم بابنتها وهي تتخذ عشيقًا لها(١٢٣)، والصبي يعيش مع عائلة كبيرة فقيرة يحس معها بأنه لا يقدر أن يحقق أحلامه، ولا تهتم المدرسة بهما أو تحاول حل مشكلاتهما، ولا نعجب أن تسلك الصبية سلوك الكبار بعيدًا عن ضغوط الكبار، فتبتاع ثوب سباحة (١٢٤)، وتضع المساحيق (١٢٥)، في حين يحلم الصبي بأنه سوف يصبح مشهورًا يكتب كتبًا تلقى رواجًا وشهرة (١٢٦)، ونراهما معًا يلجآن إلى آلة قمار من باب المتعة والتسلية وكسب المال. وفي الرواية مواقف عدة نراهما فيها يكذبان ويسلكان سلوكًا غير تربوي في سبيل ألا يكشف أمرهما (١٢٧)، ولا تغفل الرواية أن تبين كيف يحسان بحريتهما بعيدًا عن الكبار (١٢٨). وبصورة عامة لا تصلح أن تترجم، وإنْ فازت بجائزة Guardian.

١١- ذكر الكتاب في موضعين أن اللغة العربية قد توقفت عن النمو لمدة طالت هي العصر العثماني بقرونه الطويلة (١٢٩). وقد ورد هذا في إطار الحديث عن أن اللغة كائن يصيبه ما يصيب الكائن من علل وأمراض(١٣٠)، ويسهم هذا في رسم صورة غير عادلة للدولة العثمانية، وقد آن الأوان لنتخلص من تبعية الغرب الفكرية في كتابة التاريخ الإسلامي، ونعيد النظر في كثير من شئون هذا التاريخ الذي يمثل تطبيقًا عمليًا للإسلام، هذا الدين الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى دينًا للأمة، ولأن مَنْ سطّر صفحات هذا التاريخ العظيم أناس آمنوا بالله وبرسالة خاتم الأنبياء والرسل عليه أفضل الصلاة والسلام، فقد وجب بيان الحقائق وإظهار الجوانب المشرقة في التاريخ الإسلامي، وهي كثيرة بحمد الله، دون أن نتجاهل الجوانب السلبية، ولكن لا نذكرها إلا للضرورة بحيث لا تطغى على الإيجابيات بأي شكل من الأشكال، مع تذكّر أن الكتاب يتوجه للمربين الذين يعتبرون ما جاء فيه من البدهيات والحقائق التي لا تناقش! وعلينا أن نرى أثر تلقيهم ما جاء فيه على الأطفال !

كذلك ورد في الكتاب أن جمود اللغة العربية أبّان الحكم العثماني قابله عصر النهضة والتنوير في

أوربة (١٣١) . والكلام عمّا يسمي بعصر النهضة يتطلب إعادة نظر، فالمصطلح «عصر النهضة» يحمل في طياته عناصر حسنة لابد أن تثير في القارئ الإحساس بعظمة أوربة وتقدمها، ووجب علينا - نحن المسلمين - أن نؤكد على حقيقة أن ما حققته أوربة من تقدم مادي علمي إنما قام على جهود علمائنا، فأخذ علماؤها من إسهامات علماء الأمة انتحالاً، دون أن يلتزموا بالموضوعية والأمانة العلمية، فحق لنا أن نقول إن تلك النهضة المزعومة أشبه ما تكون بالولد الذي نسب إلى غير أبيه الحقيقي (١٣٢). وهذا أمر مهم في التوجه للمربين حتى تسير الأمة سيرها الصحيح بعون الله.

١٢- ورد أن المجتمعات الغربية أشبه ما تكون بمسلمين لا إسلام (١٣٣)، وهذا كلام فيه مدح لهم لا يستحقونه، وفي الكتاب مواضع عديدة تمدحهم وتبدي الإعجاب الشديد بهم (١٣٤)، ولنا أن نسأل عن وجود مسلمين بلا إسلام، فمن أين يستمدون قيمهم إذاً؟! ومن الخطأ أن نطلق على الغربيين كلمة المسلمين، ولو ظاهرياً، لأن هذا تكريم لهم، فهم وإن سلكوا مسالك إيجابية في حياتهم تبدو في ظاهرها مستمدة من قيم الإسلام، فإنما يفعلون ذلك لتحقيق أهدافهم المادية الدنيوية ليس إلا! فلنحذر ! .

١٣- ذكر في الكتاب : «ولا نحب أن نمنع عن أطفالنا شيئًا يرغبون فيه، إلا إذا كان شديد الضرر، ونفضل على ذلك الوضع البديل، ... تقديم السير الشعبية، وهي حافلة بالمغامرات الطريفة وتشكل في وجدان الطفل حسّاً عربياً قومياً في مواجهة قوميات أخرى تريد أن تنقض عليه» (١٣٥) .

إن الخطر في هذا الكلام ينبع من حقيقة من يمنع عن الأطفال ما هو شديد الضرر، فيبدو من هذا أن أمر المنع لا يتم وفق معايير إسلامية واضحة، بل وفق اجتهاد الأشخاص، بدليل اقتراح تقديم السير الشعبية الحافلة بالمغامرات الطريفة التي تشكل في وجدان الطفل حسّاً عربياً وقومياً، بل في بناء شخصيته المسلمة المميزة، فلا خير في طفل يقرأ قصة «علاء الدين والمصباح السحري» وهي من الأدب الشعبي على سبيل المثال، ويستحسن سلوك علاء الدين الذي يعقّ والديه (١٣٦) .

١٤- وردت في الكتاب مصطلحات وكلمات كان ينبغي التنبيه إلى مدلولاتها، وما في بعضها من أخطاء، فمن ذلك :

١- ذكر أمر الثقة بالذات والاعتزاز بها (١٣٧)، وأمر الضمير وما يملي على الإنسان (١٣٨)، فالذات لا يركن إليها لأنها تأمر بالسوء، وكلمة «الضمير» من الكلمات الغريبة الدخيلة على ثقافتنا، وهي من فاسد الاصطلاح والمواضعة، والبديل لها كلمة التقوى ونحوها (١٣٩).

٢ - ربط الكتاب بين الأمية والجهل (١٤٠)، والأمي قد لا يكون جاهلاً، وقد يكون من يقرأ ويكتب أكثر جهلاً من الأمي، ويذكر هنا أن الرسول ﷺ كان أمياً.

٣ - وردت كلمة «إسرائيل» في موضعين (١٤١)، إشارة إلى الكيان اليهودي المحتل في فلسطين، وعندما يربط اليهود بهذا الاسم، فإن في هذا تكريماً لهم لا يستحقونه، فلا توجد صلة بين بني إسرائيل و اليهود، وإن كان اليهود قد انضووا فيما بعد تحت التوراة وعدوا من أهل الكتاب .

٤ - وردت مصطلحات الدول النامية (١٤٢)، والعالم الثالث (١٤٣)، والشرق الأوسط (١٤٤) والبلاد المتقدمة (١٤٥)، وهذه مما فرضها الغرب على العالم، وخاصة على ديار الإسلام، فلا علاقة لنا بها، وليست ثمرة فكرنا، بل شاعت فينا ووقعنا في أسر مدلولاتها من الناحية الثقافية والإعلامية، حتى أصبحنا أكثر استعمالاً لها من أصحابها(١٤٦).

٥ - استخدم الكتاب مصطلح «الشطارة» في خمسة مواضع (١٤٧)، ويعني بها المهارة والقدرة على التفوق على الآخرين (١٤٨)، وهذا خطأ لغوي،

فالشاطر هو الذي أعيا أهله ومؤدبه خبثًا، وقول الناس فلان شاطر معناه أنه أخذ في نحو غير الاستواء، فكأنه تباعد عن الاستواء (١٤٩)، كذلك استخدم كلمة «الكسول» للمذكر، وهي خاصة بالأنثى، الصواب كلمة «الكسلان» (١٥٠).

٦ – ذكرت برامج التلفاز التعليمية بإطاراتها المعروفة الدراما والكوميديا(١٥١)، والأعمال الأدبية الدرامية والميلودرامية (١٥٢)، وهذه من الأخطاء الشائعة، فالدراما هي الأصل ومنها تتفرع التراجيديا والكوميديا والميلودراما، وكان ينبغي استخدام مصطلحات عربية مثل النشاط التمثيلي (الدراما) والمأساة (التراجيديا) والملهاة (الكوميديا).

٧ – ورد في قائمة الكتّاب الذين حصلوا على جائزة هانز أندرسون Hans Andersen اسم توقف جانسون (١٥٣)، والصواب توفي جانسون Tove Jansson من فنلندا وحصولها على الجائزة ليس لكونها كاتبة بل لأنها رسامة(١٥٤). كذلك ورد أن كيد الينش البلغاري قد حصل على الجائزة سنة ١٩٧٢م (١٥٥) (١٣٩٢هـ)، والصواب أن من فاز بالجائزة في ذلك العام هو سكوت أوديل Scott o,Dell من الولايات المتحدة الأمريكية على التأليف وأب سبانج أولسن Ib Spang Olsan من الدنمارك على الرسوم (١٥٦).

خاتمة

بينت تلك الملحوظات، وخاصة ما يتعلق منها بالقيم التربوية المتعلقة بأولاد الأمة، أهمية أن تفحص الكتب فحصًا دقيقًا في ثقافتهم قبل نشرها، سواء ما كان منها موجهًا للأولاد أنفسهم، أم ما كان منها موجهًا للكبار، لأن التنبيه إلى الأخطاء فيها يصعب نشره وتعميمه مادامت قد أصبحت تلك الكتب بين أيدي أصحابها، تترك آثارها الجسيمة في العقول والنفوس وتؤدي إلى سلوك غير حميد، والخطر أكبر في زمن الفتن المحيطة بهذه الأمة التي تحاول أن تعصف ببنيانها وكيانها، ولو كان هناك وعي بخطورة ما في تلك الكتب لما نشرت في الأصل، ولأدرك الكتاب أن الكتابة مسئولية وأمانة، فلا يتم تجاوز قيم الأمة والإعراض عنها إزاء بريق التقدم المادي الغربي، ولا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أوله، فنسأل الله أن يغفر لنا ويهدينا الصراط المستقيم، وآخر دعوانا الحمد لله.

الهوامش

١ – عبدالتواب يوسف. **فصول حول الطفل والقراءة** .- عمان : دار يمان ١٩٩٢م ص٩.
٢ – المرجع نفسه ، ص ١٢.
٣ – المرجع نفسه ، ص ١٥ و ١٧.
٤ – سورة الزمر الآية ٩.
٥ – فصول حول الطفل ، ص ١٧.
٦ – المرجع نفسه ، ص ١٧.
٧ – المرجع نفسه ، ص ١٣.
٨ – المرجع نفسه ، ص ١٣.
٩ – المرجع نفسه ، ص ١٥.
١٠– المرجع نفسه ، ص ١٣ و ٣٥.
١١– محمود توفيق محمد سعد. **فقه تغيير المنكر** .- الدوحة: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٩٩٤م.- كتاب الأمة؛ ٤١ مقدمة محمد عبيد حسنة ، ص١١.
١٢– أكرم ضياء العمري. **المجتمع المدني في عهد النبوة: خصائصه وتنظيماته الأولى** .- المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٩٨٣، ص ٢١.
١٣– فصول حول الطفل ، ص ٨ .
١٤– المرجع نفسه ، ص ١٤.
١٥– المرجع نفسه ، ص ٥٩.
١٦– المرجع نفسه ، ص ١٠١.
١٧– المرجع نفسه ، ص ١٠١.
١٨– المرجع نفسه ، ص ١١٢.
١٩– المرجع نفسه ، ص ١٣٥.
٢٠– أكرم ضياء العمري. **قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي** .- الدوحة:

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٩٩٤.- كتاب الأمة: ٣٩ ، ج١، ص٩٣.

٢١- انظر على سبيل المثال: سورة الأعراف الآيات ١٠٥ و ١٢٧ - ١٢٩ وسورة طه الآيات ٢٤ - ٣٦ و ٤٢ - ٧٦ وسورة الشعراء الآيات ١١- ١٦ و ٢٣ - ٥٢ وسورة القصص الآيات ٣٢ - ٣٥ و ٣٨ وسورة غافر الآيات ٢٣ - ٢٥ و ٣٦ - ٣٧ و ٤٥ - ٥٢ وسورة النازعات الآيات ١٥ - ٢١ وانظر أيضًا عبدالوهاب النجار. **قصص الأنبياء**.- ط٣ منقحة.- بيروت: دار إحياء التراث العربي، ص ١٧٦ - ٢١٠ ومحمد أحمد جاد المولى. **قصص القرآن**.- عمان : دار الفكر، ١٩٧٨، ص١٢١ - ١٣٢.

٢٢- **فصول حول الطفل** ص٨ و٥٩.

٢٣- المرجع نفسه ، ص ٥٩.

٢٤- المرجع نفسه ، ص ٢٨.

٢٥- ابن كثير. **البداية والنهاية**.- بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٨م ، ج١١ ، ص١٩.

٢٦- الذهبي. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**؛ تحقيق على محمد البجاوي.- بيروت: دار المعرفة، ج٣ ص ٢٤٧ وانظر ابن عماد الحنبلي . **شذرات الذهب** .- بيروت: المكتب التجاري ، ج٢، ص١٢٢.

٢٧- **ميزان الاعتدال**، ج ٣، ص٢٤٧ وانظر ابن قتيبة . **تأويل مختلف الحديث**؛ صححه وضبطه محمد زهري النجار.- القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ، ص ٥٩-٦٠.

٢٨- **فصول حول الطفل**، ص٦٣.

٢٩- المرجع نفسه ، ص ٨٠ .

٣٠- المرجع نفسه ، ص ٩٧ .

٣١- انظر على سبيل المثال طه حسين. **على هامش السيرة**.- القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٣ وطه حسين **الفتنة الكبرى: عثمان**.- القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢ انظر أيضًا محمود مهدي الإستانبولي. **طه حسين في ميزان العلماء والأدباء**.- بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٣ وأنور الجندي. **محاكمة فكر طه حسين** .- القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٨٤.

٣٢- **فصول حول الطفل** ص٩٥.

٣٣- المرجع نفسه ، ص ٩٥ - ٩٦.

٣٤- المرجع نفسه ، ص ٩٧.

٣٥- نجيب محفوظ. **قصر الشوق**.- ط ١١.- القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٨٢ ص ٣٥٠ - ٣٥٥ ونجيب محفوظ . **أولاد حارتنا** .- ط ٥.- بيروت: دار الآداب، ١٩٨٦، ص٤٤٧ - ٥٥٢ وانظر غالي شكري المنتمي: **دراسة في أدب نجيب محفوظ**.- ط ٣.- بيروت : دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٢، ص٥٦- ٥٧ و٦٣ و ٢٠٨ و٢٣٠ و ٢٣٩ - ٢٤٠ و ٢٥٨.

٣٦- نجيب محفوظ. **بين القصرين**.- ط١١.- القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٧٩ ، ص٣٧ و٤٣ - ٤٤.

٣٧- **فصول حول الطفل**، ص١٥.

٣٨- المرجع نفسه ، ص ١٥ و ٢٠ و٢٧ - ٢٨ و ٥٣ .

٣٩- المرجع نفسه ، ص ٣٣ .

٤٠- المرجع نفسه ، ص ٦٠ .

٤١- المرجع نفسه انظر على سبيل المثال ، ص ١٥ و ٢٠ و٢٥ و٦٠ و٦٣ و ٧٤ و٧٦ و ٩٢ و١٠٣ و١١١ و ١٣٣ و ١٣٤ .

٤٢- المرجع نفسه ، ص ٢٧ - ٢٨.

٤٣- المرجع نفسه ، ص ٥٢ .

٤٤- المرجع نفسه ، ص ٥٨ .

٤٥- المرجع نفسه ، ص ٥٧.

٤٦- المرجع نفسه ، ص ٥٧.

٤٧- المرجع نفسه ، ص ١٣٩.

٤٨- المرجع نفسه ، ص ٥٤.

٤٩- **ماذا يريد التربويون من الاعلاميين**.- الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨٤، ج١، ص٣٢٧ - ٣٣٦.

٥٠- عبد التواب يوسف. **فصول في أدب الطفل المسلم**.- جدة: النادي الأدبي الثقافي، ١٩٩٢، ص ١٢١- ١٣٧.

٥١- **فصول حول الطفل**، ص٨١ - ٨٩ .

٥٢- عبدالتواب يوسف. «نحو مدارس أدبية في نقد أدب الأطفال» مجلة

الموقف الأدبي عدد ٢٠٠ كانون أول ١٩٨٧، ص ١٩- ٢٦.

٥٣- **فصول حول الطفل**، ص١١٠-١٢١.

٥٤- عبدالتواب يوسف: «تطور كتب الأطفال» الفيصل، عدد ٥٠ حزيران ١٩٨١، ص ١٢٤- ١٢٩.

٥٥- **فصول حول الطفل**، ص٣٣.

٥٦- السيوطي. **اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**.- القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ج١، ص ١٩٣ وانظر محمد ناصر الدين الألباني. **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**.- ط٥.- بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٥، ج١، ص ٤١٣ - ٤١٥.

٥٧- **فصول حول الطفل**، ص ٣٤.

٥٨- المرجع نفسه، ص ٣٣.

٥٩- المرجع نفسه، ص ٣٣.

٦٠- المرجع نفسه، ص ٣٤.

٦١- المرجع نفسه، ص ٣٤.

٦٢- المرجع نفسه، ص ١١١.

٦٣- المرجع نفسه، ص ٣٥.

٦٤- المرجع نفسه، ص ٤٠.

٦٥- المرجع نفسه، ص ٤١ انظر فتحي يكن. **حركات ومذاهب في ميزان الإسلام**.- مؤسسة الزغبي، ١٩٧٠، ص ٨٩ - ٩١.

٦٦- **فصول حول الطفل**، ص٤٠.

٦٧- المرجع نفسه، ص ٤٥.

٦٨- المرجع نفسه، ص ٤١.

٦٩- بكر بن عبدالله أبو زيد. **معجم المناهي اللفظية**.- الدمام: دار ابن الجوزي، ١٩٨٩، ص٨٧ - ٨٨ انظر **حركات ومذاهب**، ص ٣٢ و ٦٧.

٧٠- **فصول حول الطفل** ص٣٧ و ٣٨.

٧١- المرجع نفسه، ص ٣٧.

٧٢- المرجع نفسه، ص ٣٩.

٧٣- المرجع نفسه، ص ٤٣.

٧٤- **ماذا يريد التربويون من الإعلاميين**، ج١، ص٣٥٧.

٧٥- **فصول حول الطفل**، ص٣٩.

٧٦- **ماذا يريد التربويون من الأعلاميين**، ج١، ص٣٥٨.

٧٧- **فصول حول الطفل**، ص٤٨.

٧٨- استخدام «الـ» في كلمة «بعض» خطأ: الفيروز أبادي. **القاموس المحيط**.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦، ص٨٢٢، انظر محمد العدناني. **معجم الأخطاء الشائعة**.- ط٢ منقحة.- بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٠، ص ٤٠.

٧٩- **فصول حول الطفل**، ص٤٩.

٨٠- المرجع نفسه ص ٣٠ و ٣٣ و٦٦ و ١٠٣.

٨١- المرجع نفسه انظر على سبيل المثال ٢٥ و ٢٦ و ٥٦ و ٥٩ و١١١ و ١٣٥.

٨٢- المرجع نفسه، ص ٣٠.

٨٣- محمد سعيد العريان. **على باب زويلة: رواية تاريخية**.- ط٣.- دار المعارف، ١٩٥٧ ص٧ و٥٠ و١٩٠ - ١٩١ و ٢٠٨.

٨٤- المرجع نفسه، ص ٢٢ و ٢٥ و٣١ و٣٥ - ٣٩.

٨٥- المرجع نفسه، ص ٨٣.

٨٦- انظر على سبيل المثال محمد سعيد العريان وأمين دويدار ومحمود زهران. **مدمس أكسفورد**.- ط١٠.- القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤، **وأميرة الواحة**.- ط١٢.- القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤ **والحظ الجميل**.- ط٩.- القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٤، **وعروس الشاطئ**.- ط٨.- القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٤، **وتاجر دمشق**.- ط٨.- القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٤، من دراسة لم تنشر أعدها كاتب هذه السطور.

٨٧- **فصول حول الطفل**، ص٣٤.

٨٨- المرجع نفسه، ص ٣٤.

٨٩- المرجع نفسه، ص ٣٥.

٩٠- كامل كيلاني. **علاء الدين**.- ط٢٠.- القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠.- قصص من ألف ليلة وليلة، ٨، ص١٠ - ١١.

٩١- **فصول حول الطفل**، ص٣٤.

٩٢- المرجع نفسه، ص ٧٦.

٩٣- المرجع نفسه، ص ٦٧.

٩٤- المرجع نفسه، ص ٢٥.

٩٥- Shaw Irwin The Young Lions. New York: The New American Library, 1952 P. 4, 23, 28, 29, 36, 39, 124.

٩٦- **فصول حول الطفل**، ص١٣٥.

٩٧- المرجع نفسه ، ص ١٣٤.

٩٨- Harris, Rosemary, The Moon in the Clouds.- London : Faber and Faber, 1989, p.9.

٩٩- ibid p. 7.

١٠٠- ibid p. 16.

١٠١- ibid p . 18 - 19.

١٠٢- ibid p. 7, 26, 173.

١٠٣- ibid p. 172 - 173.

١٠٤- **فصول حول الطفل**، ص١٣٤.

١٠٥- المرجع نفسه ، ص ١٣٥ .

١٠٦- المرجع نفسه ، ص ٧٤ .

١٠٧- المرجع نفسه ، ص ٧٣ .

١٠٨- المرجع نفسه ، ص ٧٣ .

١٠٩- سورة التين الآية ٤ .

١١٠- سورة البلد الآية ٨ .

١١١- **فصول حول الطفل** ، ص ٧٣.

١١٢- المرجع نفسه ، ص ٨٣.

١١٣- المرجع نفسه ، ص ١٣٤- ١٣٥.

١١٤- McCaughrean, Geraldine ALittle Lower than the Angels.- Oxford: Oxford University press, 1988 p. 16.

١١٥- ibid. p. 117, 126.

١١٦- ibid p . 33 - 44, 56 - 57.

١١٧- ibid P. 106 - 107.

١١٨- ibid p . 108.

١١٩- Alcock , Vivien The Monster Garden .- London: Methuen, 1988, p. 7, 82.

١٢٠- ibid p. 11 - 12.

١٢١- ibid p. 11 - 12.

١٢٢- ibid p. 55, 69, 70, 72, 80, 88, 114.

١٢٣- Thomas, Ruth The Runaways.- London: Arrow Books, 1990 , p. 41, 47, 54.

١٢٤- ibid p. 77.

١٢٥- ibid p. 73.

١٢٦- ibid p. 97.

١٢٧- ibid p. 81, 88, 89, 91, 112, 125.

١٢٨- ibid p. 199.

١٢٩- **فصول حول الطفل** ، ص١٣٧ و١٣٩.

١٣٠- المرجع نفسه ، ص ١٣٧.

١٣١- المرجع نفسه ، ص ١٣٩.

١٣٢- فؤاد سزكين. **محاضرات في تاريخ العلوم العربية والإسلامية**.- فرانكفورت: معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، ١٩٨٤، ص ١٠٢.

١٣٣- **فصول حول الطفل** ، ص٤٣.

١٣٤- المرجع نفسه وانظر على سبيل المثال ، ص ٥٢ و ٥٥ و ٦٠ ، و١٠٢ و ١٠٣ و ١١١ .

١٣٥- المرجع نفسه ، ص ٦١ .

١٣٦- المرجع نفسه ، ص ٦١ .

١٣٧- المرجع نفسه ، ص ١٧ .

١٣٨- المرجع نفسه ، ص ٣٦ .

١٣٩- **معجم المناهي اللفظية** ، ص٢١٦.

١٤٠- **فصول حول الطفل**، ص١٢.

١٤١- المرجع نفسه ، ص ١٢٦ و١٣٥.

١٤٢- المرجع نفسه ، ص١٢ و١٤ و٥٢.

١٤٣- المرجع نفسه ، ص ١٢٥.

١٤٤- المرجع نفسه ، ص ٤٦.

١٤٥- المرجع نفسه ، ص ٥٣ و ٥٥ و٦٢ و ٩٦.

١٤٦- **فقه تغيير المنكر**، ص٢٤.

١٤٧- **فصول حول الطفل**، ص٤٥ و ٤٦ و ٥١ و ٨٦.

١٤٨- المرجع نفسه ، ص ٤٥.

١٤٩- ابن منظور، **لسان العرب**.- بيروت: دار صادر ، ج٤ ، ص٤٠٨ انظر الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، ص٥٣٣ .

١٥٠- **القاموس المحيط** ص١٣٦٠، انظر محمد العدناني. **معجم الأخطاء الشائعة**.- ط٢ منقحة .- بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٠، ص ٢١٧.

١٥١- **فصول حول الطفل**، ص١٥١.

١٥٢- المرجع نفسه ، ص ١٥٢.

١٥٣- المرجع نفسه ، ص ١٣٤.

١٥٤- Literary and Library Prizes.- 10 th. ed,.- Weber, Olga S. and Calvert, Stephen J. , ed.- New York: R.R. Bowker, 1980 p. 320.

١٥٥- **فصول حول الطفل** ، ص ١٣٥.

١٥٦- Literary and Library Prizes P. 320.

السيرة الذاتية في النثر السعودي

رسالة ماجستير لعبدالله الحيدري

الحيدري، عبدالله بن عبدالرحمن / السيرة الذاتية في النثر السعودي .- رسالة ماجستير .- إشراف إبراهيم بن فوزان الفوزان .- الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية اللغة العربية بالرياض - قسم الأدب، ١٤١٦هـ/١٩٩٥، ٦٥٦ ورقة .

الباحث في الأدب السعودي سيلحظ أن هناك محاولات جادة من قبل بعض الكتاب لتدوين سيرهم الذاتية، بدءًا بأحمد السباعي في «أبو زامل أيامي» عام ١٣٧٤هـ حتى عزيز ضياء في «حياتي مع الجوع والحب والحرب» عام ١٤١٤هـ .

ومن الملاحظ أن كل هذه الأعمال التي أنتجها الأدباء السعوديون على مدى أربعة عقود تقريبًا لم تدرس دراسة أكاديمية تحدد الجنس الأدبي الذي تنتمي إليه، واصفة حظوظها من التجويد الفني، ولذلك تأتي هذه الدراسة خطوة أولى للتعريف بهذا اللون من الكتابة في الأدب السعودي، ورصداً لإسهامات الأدباء السعوديين في هذا الجانب .

وقد ذكر الباحث في المقدمة أن في مقدمة الحوافز له دراسة هذا الموضوع :

١- كثرة الأعمال المنتجة في هذا الفن في الأدب السعودي، وندرة الدراسات النقدية الجادة، والإيجاز الشديد فيما وجد منها .

٢ - أن جل أرباب هذه السير من الرواد، وفي دراسة عطائهم في جنس السيرة الذاتية فرصة للاطلاع على تجاربهم في الحياة، فضلاً عن الوقوف على أساليبهم وطرقهم البيانية.

٣ - أن السير الذاتية تتضمن عناية كبرى بالتحولات الاجتماعية والثقافية في البيئة السعودية ورصدها : ماضيًا، فحاضرًا، فاستشرافًا للمستقبل .

وقد تضمن البحث مقدمة، فتمهيدًا، فأربعة فصول، فخاتمة. ففي التمهيد تكلم الباحث على مفهوم السيرة الذاتية، مبتدئًا بالحديث عن مدلول كلمة «سيرة» لغويًا، ومتناولاً الفرق بين السيرة الغيرية والسيرة الذاتية، ومشيرًا إلى أن الأخيرة جنس مستحدث لا يتجاوز عمر مصطلحه في المفهوم المعاصر القرنين .

ومضى بعد ذلك معرفًا بأبرز الأعمال المدروسة من مثل : أيامي لأحمد السباعي، وهذه حياتي لمحمد حسن كتبي ، وذكريات طفل وديع لعبدالعزيز الربيع، وذكريات العهود الثلاثة لمحمد حسين زيدان، وحياتي مع الجوع والحب والحرب لعزيز ضياء، ومذكرات وذكريات من حياتي لعبدالكريم الجهيمان، وسواها من الأعمال.

أما الفصل الأول فعنوانه (النشأة والتطور(، ويشمل ثلاث فقرات هي : البدايات والدوافع، مراحل كتابة السيرة الذاتية، السيرة الفنية .

ففي البدايات حاول الباحث تحديد التراجم الذاتية الموجزة لكونها النواة الأولى للسيرة الذاتية، ثم تتبع بعضاً من إسهامات الأدباء السعوديين في المقالة الذاتية لكونها لصيقة بالسيرة الذاتية .

وفي الفصل الثاني (موضوعات السيرة الذاتية) تناول الباحث الموضوعات التاريخية، فالسياسية، فالاجتماعية، فالفكرية .

وأما الفصل الثالث (الشكل الفني) فقد تضمن سبع فقرات هي : الباعث الفني، شخصية الكاتب، النزعة القصصية ، الاعتدال والتكلف، المستويات الزمنية ، صورة المكان، اللغة والاسلوب .

فالباعث الفني يعني المحرك للأديب لأن يكتب سيرته، هل هو باعث فني محض، أو بقصد الدفاع عن النفس، أو الشهرة... إلخ.

وفي «شخصية الكاتب» اتخذ الباحث منهجًا نفسيًا في أبسط صورة محللاً من خلال شخصيات كتاب السيرة الذاتية في الأدب السعودي .

وفي فقرة «النزعة القصصية» قرر الباحث أن هناك طريقتين يتخذهما الكتاب في سيرهم: إما السرد القصصي، وإما العرض الإخباري، وأشار إلى أن الطريقة الأولى هي الأقرب إلى مفهوم السيرة الذاتية .

وأما قضية «الاعتدال والتكلف» فقد أحوجت الباحث إلى تعريف مدلولي الكلمتين بالتحديد، منطلقًا بعد ذلك إلى الحديث عن الصدق ومدى تحققه في السيرة الذاتية، وحكم الثناء على النفس، وغير ذلك من القضايا الملحة .

وفي فقرة «المستويات الزمنية» أثار الباحث تقسيم بعض بعض النقاد للأزمنة، منطلقًا بعد ذلك إلى الحديث عن عناية المهتمين بالأدب وفنونه بالزمن الأدبي والزمن النفسي، لعلاقتهما بالأجناس الأدبية.

ولكون الزمان والمكان مصطلحين متلازمين، تناول الباحث في فقرة «صورة المكان» تعبير الكتاب في سيرهم الذاتية عن المكان، وأشار إلى تقسيم بعض النقاد الأماكن ثلاثة أقسام : المكان الأليف، المعادي، المحايد .

وقد أفضى تحليل نصوص السيرة الذاتية في الأدب السعودي في الفقرات الماضية إلى حتمية الكشف عن اللغة والأسلوب فيها، ولذلك خصص الباحث الفقرات الأخيرة من الفصل الثالث لهذا الجانب .

ولكي يتكامل لهذه النصوص درسها وتقويمها، وتحديد موقعها من بين نظيراتها في الأدب العربي الحديث، عقد الباحث الفصل الرابع والأخير تحت عنوان «موازنة بين كتّاب السيرة الذاتية في المملكة العربية السعودية وغيرهم في الأقطار العربية»؛ لكون الأدب السعودي جزءًا لا يتجزأ من الأدب العربي .

وقد تضمنت الخاتمة مقترحات وتوصيات من أبرزها:

١- السيرة الذاتية ليست حكرًا على من بلغ من العمر أرذله، ذلك أنه بإمكان المبدعين في الشعر أو القصة أو المقالة ... إلخ أن يكتبوا في سن النضج سيرًا مجتزأة عن تجاربهم في هذا الفن أو ذاك .

٢- يوصي الباحث من لديه الرغبة في إنشاء سيرة ذاتية ممتازة أن يكشف القراءة في مفهوم هذا الجنس الأدبي، وأن يقتني الأعمال الأدبية المتميزة في هذا المجال .

٣ - يتطلع الباحث إلى أن يكون في مناهج أقسام اللغة العربية في الجامعات مادة تخصص لهذا الجنس الأدبي؛ لما في التجارب الحياتية من أهمية في حفز الطلبة والطالبات للمزيد من الجد والاجتهاد، للوصول إلي ما وصل إليه هؤلاء الكتاب .

الجدير ذكره أن هذه الرسالة نوقشت بتاريخ ١٤١٧/١/١٢هـ في قاعة المحاضرات الكبرى بكلية اللغة العربية .

المناقشات والتعقيبات

فائت الفائت

غسان الحسن - الإمارات العربية المتحدة

في العدد الخامس من المجلد السابع عشر، عدد الربيعين ١٤١٧هـ /سبتمبر - أكتوبر ١٩٩٦م. وتحت عنوان (فائت الدواوين المطبوعة) أورد الكاتب وليد محمد السراقبي من العين بالإمارات العربية المتحدة، مجموعة أشعار لمجموعة غير قليلة من الشعراء كانت قد أخلت بها دواوينهم ومجموعاتهم الشعرية الموجودة بين أيدي الناس اليوم.

ويقول وليد السراقبي إنه وقف عليها خلال قراءاته في كتب اللغة والأدب، وخلال عمله في تحقيق بعض نصوص التراث العربي.

وعلى الرغم من أن العثور على هذه الأشعار المتفرقة، إنما جاء عرضاً، ومصادفة، إلا أنها تشهد بكل وضوح على أن السراقبي، إنما هو من المكابدين عناء التجوال والتنقيب الذي لا يعرف الراحة، في مناجم التراث العربي الزاخرة بالكنوز الدفينة. مما يستوجب التقدير والإجلال، له ولجهوده.

من هذا المدخل، ومن هذا المنطلق، نطمع في أن يتسع صدر الأستاذ الكريم لبعض ملاحظات علمية موضوعية، تخص الناحية العروضية فيما أورده من أشعار. وهي :

١ - على (قافية الهمزة) بيت للشاعر إبراهيم بن هرمة القرشي، يقول فيه :

أعلمُ اني طريق عاليةٍ
من المنايا كنت انسؤها

وقد ذكر الكاتب أن هذا البيت من بحر (المنسرح) وهو صحيح، غير أن الشطر الثاني من البيت مكسور. فالمنسرح (مستفعلن مفعولاتُ مستفعلن) في كل شطر. في حين جاء الشطر الثاني بمقدار (مُتَفْعِلُن مَفعولُ مُسْتَعِلُن). والخلل فيه في التفعيلة الثانية (مفعولات)، فقد جاءت بمقدار (مفعولُ) وهذا غير جائز، وتحتاج هذه التفعيلة، إلى ما مقداره مقطع طويل (متحرك فساكن)، لتكتمل. أما (متفعلن) و (مستعِلن) فهما من الصور الصحيحة لمستفعلن. وبهذا يكون نص الشطر الثاني بحاجة إلى تصويب .

٢ - على (قافية الهاء) بيت للشاعر نفسه، يقول فيه:

سهل المحيا تُلفى خلائقه
مثل وحي السلام تَقْرؤها

وقد ذكر الكاتب أن البيت من بحر (المنسرح)، وهو صحيح. غير أن الشطر الثاني من البيت مكسور. فقد جاء بمقدار (فاعِلُنْ مفعلاتُ مستعِلُنْ)، أي إن التفعيلة الأولى (فاعلن) حلّت محل (مستفعلن)، وهذا غير جائز. مما يستوجب تصويب نص هذا الشطر.

٣ - على (قافية الدال) بيت للشاعر أوس بن حجر، يقول فيه :

فلست وإن عللت نفسك بالمنى
بذي سؤدد ولا كرب سيّد

وقد ذكر الكاتب أن هذا البيت من بحر (الطويل) وهو صحيح. غير أن الشطر الثاني من البيت مكسور. فالطويل (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن) في كل شطر. في حين جاء الشطر الثاني بمقدار (فعولُنْ مفاعِلُنْ عو مفاعِلُن). والخلل فيه وقع في التفعيلة الثالثة، (فعولُنْ)، فقد جاءت بمقدار (عو)، وهذا غير جائز. مما يدل على خلل في كلمات هذا الشطر يستوجب التصويب .

٤ - على (قافية الراء) بيت للشاعر حبيب بن أوس الطائي (أبي تمام) يقول فيه :

ومثل قوس ونشاب يجمّ
عها الرامي وليس في قوسه وترُ

وقد ذكر الكاتب أن البيت من بحر (البسيط)، وهو

صحيح، غير أن الشطرالثاني من البيت مكسور. فالبسيط (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن) في كل شطر في حين جاء الشطر الثاني بمقدار (مُسْتَفعِلُنْ فَـ مستفعلن فَعِلُنْ). أي إن الخلل واقع في التفعيلة الثانية (فاعلن)، فقد جاءت بمقدار (فَـ)، وهذا غير جائز. مما يدل على أن نص هذا الشطر يحتاج إلى تصويب .

٥ – على (قافية الباء) بيت للشاعر الحسن بن رشيق القيرواني، يقول فيه :

فقلتُ خُذها وهاتها عجلاً

فقال: لا تكثر التعتُّب لها

وقد ذكر الكاتب أن البيت من بحر (المنسرح)، وهو صحيح. غير أن الشطر الثاني من البيت مكسور. فقد جاء بمقدار (متفعلن مفعلاتُ مُسْتَفَعِلَن). أي أن الخلل واقع في التفعيلة الثالثة، التي تتالت فيها ثلاثة مقاطع قصيرة . على غير نمط جائز أو معروف. مما يستوجب النظر في نص الشطر وتصويبه .

٦ – على (قافية الراء) بيت للزبرقان بن بدر، يقول فيه:

فرسان صدقٍ في الصباح إذا

كثر الصياح ولجَّ في النَّفْرِ

وقد ذكر الكاتب أن البيت من بحر (السريع)، وهذا غير صحيح. إذ إن السريع وزنه (مستفعلن مستفعلُنْ فاعِلُنْ) في كل شطر. في حين أن وزن هذا البيت ومقداره هو :

متفاعلن متفاعلن فعلن متفاعلن متفاعلن فعلن أي إنه من بحر (الكامل) .

ولعل الخطأ في تقدير وزن البيت، قد جاء من تطابق وزن الشطر الأول وتفعيلاته مع وزن السريع وتفعيلاته؛ فتفعيلة (متفاعلن) بتسكين التاء؛ إنما هي صورة من صور (متفاعِلُن) بتحريك التاء، وهي التفعيلة التي يقوم عليها بحر (الكامل). وهي عندما تكون ساكنة التاء تكون مساوية لتفعيلة (مستفعلُنْ) التي يقوم عليها (السريع) .

أما التفعيلة الثالثة (فعلُن)، فهي أصلية في (السريع)، في حين أنها صورة من صور (متفاعِلُن) في الكامل، بتسكين عينها أو تحريكها .

أما الفارق الذي يحدد هوية وزن هذا البيت وانتمائه، فهو في الشطر الثاني، في تفعيلة (متفاعلن) بتحريك التاء. إذ إن هذه التفعيلة خاصة بالكامل، وليست مساوية لتفعيلة (مستفعلن)، وبالتالي فلا مدخل لها في البحر (السريع). مما يقطع بكون البيت من (الكامل).

٧ – على (قافية الياء) أبيات لعبدالله بن المعتز، يقول فيها :

في خدّه عقاربُ	محشوّة بالغاليه
سائلةٌ اذنابها	حماتهنّ قاضيه
تلسعني إذا بدا	وجسمه في عافيه

وقد ذكر الكاتب أن الأبيات من (مجزوء الكامل)، وهذا غير صحيح. إذ إن مجزوء الكامل وزنه (متفاعلن متفاعلن) في كل شطر. في حين أن وزن هذه الأبيات كما يلي :

مستفعلُنْ مُتفعلُنْ	مستفعلُن مستفعلُن
مستعلُن مستفعلُن	مُتَفْعِلُنْ مُتَفْعِـلُنْ
مستَعِلُن مُتفعِـلُن	متفعِلُنْ مستفعِـلُن

أي إنه (مجزوء الرجز) .

ولعل الخطأ في تقدير وزن البيت، جاء من تطابق تفعيلة (مستفعلن) التي يقوم عليها (الرجز)، مع تفعيلة (مُتْفاعِلُنْ) بتسكين التاء. التي هي صورة من صور (متفاعلن) بتحريك التاء، التي يقوم عليها (الكامل) .

وقد ورد هذا التداخل في ستة مواضع، أو تفعيلات، من الأبيات الثلاثة السابقة. ولكن التفعيلات الأخرى المتبقية، يقطعن بأن الأبيات إنما تنتمي إلى (مجزوء الرجز)، وليس إلى (مجزوء الكامل) .

فتفعيلتا (مُتَفْعِلُن) و (مُسْتَعِلُنْ)، هما صورتان من صور (مستفعلُن)، الخاصة بالرجز. ولا مدخل لهما في تفعيلة (متفاعِلُنْ) الخاصة بالكامل.

٨ – على (قافية اللام) أبيات لمسلم بن الوليد، يقول فيها :

وقامت بابريـــق وكأس رويّةٍ
فتاةٌ خيمُ الدلّ ذات شوى خَدْلِ
كأن الثريا عُلقت في يسارهـا
وبهرام في يمنى مبتّلةٍ طـــفلِ
كأن فضول الكأس في دبرانها
خلال شُدَّت بالخمار إلى خجلِ

وقـد ذكـر المحـقق أن الأبيـات من بحـر (الطويل)، وهو صحيح.

غير أن الشطر الثاني من البيت الأول مكسور، أو لعل هناك خطأ في كلمة (خيم) ذلك أن مقدار وزن هذا الشطر هو (فـعـولُنْ فـاعـيلن فـعـولُ مفاعيلن)، وجميعها تفعيلات سليمة، ما عدا التفعيلة الثانية، التي نقصت مقطعًا قصيرًا في أولها، إذ إن أصلها (مفاعيلُنْ).

كذلك؛ فإن الشطر الثاني من البيت الثالث مكسور، أو لعلّ هناك خطأ في كلمة (خلال). ذلك أن مقدار وزن هذا الشطر هو (فعولن فاعيلُن فعولُ مفاعيلن)، أي إن التفعيلة الثانية، فقدت مقطعها المتحرك القصير الأول، فجاءت على صورة (فاعيلن)، في حين أن صوابها هو (مفاعيلُن)

وبطبيعة الحال، فإن الخلل الوزني في الشطرين السابقين، يشهد بوضوح، إلى وجود خلل في نصّي الشطرين، مما يستوجب المراجعة والاستقصاء.

٩ – على القافية نفسها، وللشاعر نفسه، بيتان آخران، يقول فيهما:

فلم يبق سوى طعمها
ونكهة ريحٍ لها لم تزلْ
كفاي من شربها شمّها
فرحت أجرّر ثوب الثملْ

ولم يذكر الكاتب بحر هذين البيتين، الذي هو بحر (المتقارب) . غير أن الشطر الأول من البيت الأول فيه خلل، يظهر بوضوح في مقداره الوزني، فالمتقارب وزنه (فعولن فعولن فعولن فعولن) في كل شطر. بيد أن هذا الشطر جاء بمقدار وزني هو (فعولُنْ فَ فعولن فعو)، وجميعها تفعيلات صحيحة، سوى التفعيلة الثانية (فَ). مما يدل على خلل في نص هذا الشطر.

كذلك، فإن الشطر الأول من البيت الثاني فيه خلل، فقد جاء مقداره الوزني هكذا (فعولُ عولُنْ فعولُن فَعُو) وجميعها تفعيلات سليمة، إلا التفعيلة الثانية (عُولن) التي فقدت متحركها الأول. مما يشير إلى خلل في نص الشطر.

١٠– على (قافية النون)، وللشاعر مسلم بن الوليد نفسه، مجموعتان من الأبيات، يقول فيهما:

رُبَّ يـومٍ لهوتَ فيــه
بمسمعات من القيانِ
وربَّ كأسٍ شربتُ صرفًا
على شجيٍ من الأغاني
من كفّ ذي قرطقٍ رخيمٍ
لـه على الخدّ وردتانِ
تعقده كيف شئت لينًا
كأنـه عـود خيـزرانِ
كأنّـه حامـلٌ إلينـا
صقرَ عقيقٍ بِدُستـبانِ

ويقول :

فلا ترى ضاحكًا بسنٍّ
أحسن من ضحكة القناني
إذا تبسَّمْنَ عن مدامٍ
كأنـه ماءُ زعفــرانِ
ينحسر الليل عن دُجاه
وتطلع الشمسُ في الصواني

وقـد ذكـر الكاتب أن الأبيـات من بحـر (المنسرح)، وهو غير صحيح.

ذلك أن المنسرح وزنه (مستفعلن مفعولاتُ

مستفعلن) في كل شطر، في حين أن هذه الأبيات وزنها (مستفعلن فاعلن فعولن) في كل شطر، وهو وزن (مُخَلّع البسيط).

أما التداخل أو التشابه بين هذا (المخلّع) وبين (المنسرح)، فمرده إلى تشابه المقاطع إلى حد كبير، فتقطيع البيت الأخير من الأبيات السابقة، على سبيل المثال، هو: (– ل لـ – – لـ – لـ – –   لـ – لـ – – ل ل – –)، وقس عليه سائر الأبيات.

ويمكن تقسيم هذه المقاطع إلى تفعيلات المنسرح، على النحو التالي (جدلاً) :

-لل-	-ل-ل	--	ب-ب-	-ل-ل	--
مستعِلُنْ	مفعُلاتُ	مُسْتفْ	مُتْنعِلُن	مفعلاتُ	مستَفْ

وكان، من الممكن لهذا التقطيع أن يكون صحيحاً، وأن ننسب البيت إلى بحر المنسرح، لو أن التفعيلة الثالثة (مستفْ – –)، هي من صور (مستفعلن) التي يمكن أن ترد في بحر المنسرح. غير أن الصحيح، هو أن هذه الصورة لا يجوز ورودها في هذا البحر مطلقًا – مما ينقض هذا الإمكان، ويخرج البيت من وزن المنسرح .

أما (مخلّع البسيط)، فهو من أصل بحر (البسيط)، الذي أساسه: (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلُنْ) في كل شطر. ثم حذف منه تفعيلة (فاعلن) الرابعة. في حين جاءت تفعيلة (مستفعلنْ) الثالثة، على صورة (مُتَفْعلْ) أي إنها من مشتقات صورة (مُتَفْعلُنْ) المأخوذة أصلاً من (مستفعلن) .

وصورة (مُتَفْعِلْ ل – –) هذه – وهي مساوية لتفعيلة (فعولُنْ لـ – –) – من الصور التي لا تأتي في نهايات الأشطر والأبيات، ولا يجوز أن تقع في حشوها، أو في بداياتها.

كما أن هذه التفعيلة (مُتَفْعِلْ) لا تأتي إلا في بحرين هما: الرجز، والبسيط .

وهي ملتزمة إذا جاءت . وهي ملتزمة بشكل مطلق، في كل نهايات أشطر الأبيات المبنية على وزن (مخلَّع البسيط)، وبهذا كان وزنه هو :

(مستفعلن فاعلن مُتَفعِلْ) في كل شطر. ونستبدل اسم (متفعلْ) باسم (فعولُن) المساوية لها، من أجل التسهيل. وهكذا يكون التقسيم الصحيح للمقاطع السابقة، هو:

-لـلـ-	-لـ-	لـ--	-لـ-لـ	-لـ-	لـ--
مُستعلُنْ	فاعلُنْ	مُتفعِلْ (فعولن)	مُتَفْعِلُنْ	فاعلن	مُتَفْعِلْ (فعولن)

وهو وزن (مخلّع البسيط).

بقي أن نشير إلى أن الشطر الأول من البيت الأول، فيه خلل وزني، ناجم عن نقص مقطع متحرك قصير في بداية التفعيلة الأولى، ولذا فقد جاء مقداره الوزني (تَفْعلُن فاعلن مُتَفعِلْ)، والصحيح أن تكون الأولى (مُتفعلُنْ). ولعل هذا ناجم عن سقوط (واو رُبَّ)، مما يستدعي الإشارة والتصحيح.

بقي أن نقول: إن ما أوردناه سابقًا، إنما هي ملاحظات استوجبتها الموضوعية، وليس فيها أي إقلال من جهد السراقبي .

كما وجبت الإشارة إلى أنني سلكت في تبيان النواحي العروضية، مسلكًا بعيدًا عن مصطلحات الزحاف والعلل، التي قد تسبب كثيرًا من التعقيد والتغريب لغير المختصين في العروض .

وأخيرًا؛ فإن كثيرًا مما وقع في الأبيات من خلل، يمكن تقديره أو اقتراحه، ومنه ما هو واضح بيّن. ولكنني لم أثبته، ليكون لكاتب المقال فرصة هو أحق بها، في الرجوع إلى أوراقه وثوابته، التي ستقطع الشك باليقين، بعيدًا عن التقديرات والتخرُّصات .

لقد كان الوزن الشعري، وما زال، ضابطًا موثوقًا، ومجسّاً حساسًا، للتيقن من صحة العبارة الشعرية، مما يجعل علم العروض والقوافي، أداة لا غنى عنها، للمشتغلين في التحقيق والتوثيق .